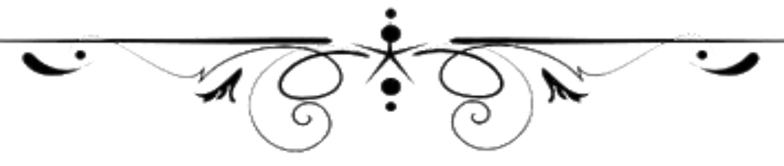
حتى يحبك الله



مجموعة قصصية في زمن الجائحة



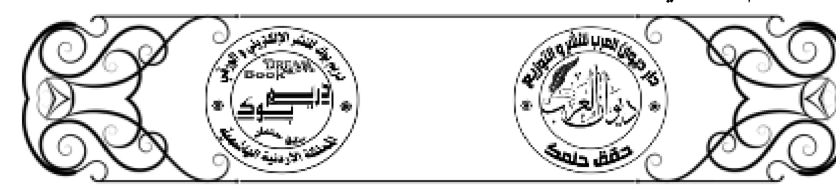
عنـــوان الكتاب: حتى يحبك الله

اســـــم المـؤلف: د. محمد فتحي عبد العال

التصنيف الأدبي: مجموعة قصصية في زمن الجائحة

رقـم الإيـــــداع: 4156 / 2022

الترقيـــم الدولي: 5 - 358 - 998 - 977 – 978



التدقيــق اللغوي: د. هبة ماردين — **تـصـميـم الغلاف: شيمــاء منـيـر**

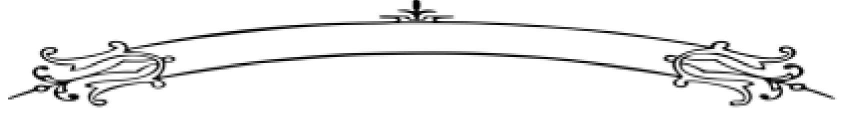
التنسيق الداخلي: محمد وجـيــه — **رقــــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى**

المديــــــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع ـ مصر ـ بورسعيد

جوال: 00201211132879

البريد الإلكتروني: mohamedhamdy217217@gmail.com







حتى يحبك اللّه

مجموعة قصصية في زمن الجائحة

د. محمد فتحي عبد العال




بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى روح أخي العزيز الأستاذ أحمد فتحي عبد العال الذي طالما حلم بأن يكون له كتاباً في التاريخ يحمل اسمه... أحلام وأماني مشروعة حال بينه وبين تحقيقها المرض.

أهديه هذا الكتاب وهو في دار الحق راجياً أن يكون علماً نافعاً في ميزان حسناته. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته: من عَلّم علماً، أو أجرى نهراً، أو حفر بئراً، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجداً، أو ورّث مصحفاً، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته)

حسنه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم :**3596.**

المؤلف

****

مقدمة

تحدٍ لم يشهده العالم منذ عقود طويلة، تخطى قدرات العالم المتقدم بكل ما يملكه من تكنولوجيا وتطور وأنظمة صحية قوية، إنه جائحة فيروس كوفيد 19 وبالرغم من الإجراءات الاحترازية شديدة الوطأة التي سادت العالم إلا أن الفيروس أبى إلا أن يستمر في عناده، يحور ذاته ويسقط المزيد من الشهداء حول العالم يوماً بعد يوم.

لقد ظننت لوهلة أنّ التاريخ بعد انقشاع هذه الغمة سينقسم إلى مرحلة ما قبل كوفيد ومرحلة ما بعده، ولكنني لما وجدت أنّ لا شيء قد تغير ولم يستوعب أحد الدرس فالحروب عادت والشرور زادت، وأن سفينة الأخلاق لا تلوح في الأفق البعيد.. عزمت أن أغير مسار العالم بقلمي وأن أنسج هذه الأقاصيص صانعاً بها نهايات خيالية لمجتمع فاضل من نسج خيالي كان من المنطق أن تفضي إليه الأزمة، متمنياً يوماً أن يصبح الوهم حقيقةً والخيال واقعاً، وتغدو الأخلاق عنواناً لزمن قادم حتى وإن لم أدركه.

د.محمد فتحي عبد العال

****





تنويه هام:

جميع الأحداث والشخصيات والوقائع في هذه المجموعة حتى التاريخي منها من خيال المؤلف وأي تشابه بينها وبين الواقع هو محض مصادفة .

القصة الأولى

المخالب الناعمة

تحمل النفس دائماً التناقض حتى نظن أننا نحيا بالعديد من الشخصيات في اليوم الواحد، ومنها صاحبنا مروان، شاب ثائر لكن على النقيض يحمل في قلبه طيبةً زائدةً وفي عقله معانيَ مُثلى عن مجتمع نسجه في خياله لا وجود له في عالم الواقع، ومع الثورة في كل مرة يحمل بين جنباته خوفاً دفيناً من كل شيء وأي شيء، تعكسها نظرات انكسار في عينيه لا يعلم سبباً له سوى أنه تربى عليه، وفي قرارة نفسه يعتبره إرثه عن أبيه.

لقد ظل الشاب مروان لعهود حبيس البيت حتى أتم المرحلة الثانوية وأصبح على أهبة الحياة الجامعية. كان الأب تسيطر عليه الهواجس من الخوف الشديد على ابنه من مخالطة أقرانه والتطبع بطباعهم، وفي المقابل لم يمنحه أي دروس حياتية أو اهتمام والمرة الوحيدة التي وعده أبيه فيها بتعليمه الصلاة في يوم الجمعة تركه ينتظره ولم يحضر.

الأب يقسو ولا يقبل مناقشة، والأم لم تكمل تعليمها وظلت في بيت أبيها قابعة لا تعرف ما وراء جدرانه حتى تزوجت فلم تكن تزد نصائحها عن أن "القدم إن دارت عارت".



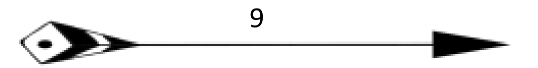
إصابة مروان بمرض الربو منذ نعومة أظفاره فرضت عليه عزلة إضافية فالحلول البسيطة كبخاخات الربو سريعة المفعول، كانت مرفوضة من الأب خشية تعوّد الابن عليها!! وكان الحل الحقن الوريدي بالثيوفيللين ومع كل نوبة إصابة بالربو كان الإذلال التام لمروان لأنه جرى في المدرسة أو مارس أي نشاط رياضي سبب هذه النوبة، كما أن أقراص الكورتيزون زادت في وزنه على نحو كبير؛ فكان والده ينتقي له ملابس مضاعفة الحجم حتى ولو نحف فالطقم يأتي لمرة واحدة في العام والحذاء أيضاً من محلات باتا وأوكازيون عتيقة الموديلات والأزياء.

تحول مروان لمطالعة الكتب كمنقذٍ حياتيّ وحيد يكتسب منه دروس الحياة لكن لم تكن روايات مصرية للجيب ولا ما وراء الطبيعة لتشبع ظمأه وكذلك الأدب الروسي الرتيب، فتحول للقراءة لكبار الأدباء ولكن شتان بين أزمنتهم وزمنه وقضاياهم واحتياجات واقعه ومن فرط سذاجة صاحبنا اعتقاده أن الكلمات والعبارات المأثورة تحي الضمائر التي أرقدتها الأجداث.

لقاء جمع مروان بدكتور جامعي قضى حياته بأمريكا ويهوى قراءة الكف كشف له عن الفجوة التي تفصله عن واقعه فنظر المنجم الدكتور لراحة يديه باهتمام للحظات، ثم قال:

-ألمح من يديك ذكاءَك وتوقد ذهنك ولكن للأسف...

قال مروان:



-للأسف ماذا؟

-أنت بلا مخالب لتعافر مع الحياة يا بني.

كانت الحياة الجامعية متنفساً جديداً لمروان أصدقاء جديد من انتماءات شتى ولأول مرة يعرف الصلاة ويواظب على صلاة الجماعة ومن معترك الحياة يدرك أن الحياة لا يقطنها طيبون دائماً فالملائكة مكانهم بالسماء.

كان حضور المحاضرات أمراً محبباً لمروان خاصة أن كليته العلوم هي محراب العلماء ومصنع العقول الواعدة، كما كان يسمع ويقرأ وكان ملهمه في ذلك مصطفى مشرفه الذي قرأ عنه أنه كان مواكباً لأينشتاين الذي قال أن العلم توفي نصفه بوفاة مشرفه (*هذه المقولة شهيرة ولكنها ليست صحيحة فاينشتاين لم يكن يعرفه).

كان لمحاضرات الكيمياء الحيوية مكانة خاصة في قلب مروان ويتعاقب على شرح أجزائها دكتوران الأول دكتور قنديل والذي أوجز منهج الكربوهيدرات والبروتين في خمس نكات!! كانت نكات سمجة ولكن يضج المدرج بالضحك تملقاً للدكتور قنديل، وكانت الملزمة الملونة في نهاية كراسة العملي هي مفتاح النجاح فهي علامة على شراء كتاب دكتور المادة.

والدكتور الثاني هو الدكتور حاييم الذي يشرح البيولوجيا الجزيئية في براعة وعلى غرابة اسمه كان يحمل تواضعاً جاماً جعل الطلاب يحبونه ويفضلون أسلوبه البسيط عن باقي الأساتذة في القسم ومنهم قنديل.



كان العام قد انتصف وراحت الأقسام تنظم مشروعات بحثية لكن لظروف كوفيد **19** أصبحت الأبحاث فردية وليس في مجموعات كما كان الحال في السنوات السابقة للحفاظ على التباعد المجتمعي.

كان التواصل بين الطلاب عبر المشرفين من الدكاترة وكان المشرف على مشروع مروان هو الدكتور حاييم.

طار مروان فرحاً فهو بالقرب من دكتوره المفضل والذي يتمنى أن يكون مثله في يوم من الأيام.

دخل مروان مرتدياً كمامته على دكتور حاييم والذي لا يكترث كثيراً بهذه الأمور ولا يخفي في محضراته أن هذا الفيروس مفتعلاً من الصين لإعادة رسم خريطة القوى العظمى!!.

-صباح الخير دكتور حاييم

-أهلاً بك طالبنا العزيز ما اسمك؟

-مروان يا سيدي.

هل لي أن أطلع على النقطة البحثية التي أشرف أن تختارها لي؟

-سيكون مشروعنا يا مروان عن المحتوى الجيني لطحلب سيبرولينا هل تعرفه يا مروان؟.

-لا يا سيدي.

-إنه واحد من الثروات الغذائية واختياري لك لهذا البحث دوناً عن زملائك لنبوغك وتفوقك ولا تحمل أي هم؟ سأتكفل بكل شيء وليس عليك سوى الاجتهاد... العلم يا مروان ثم العلم إنه سبيلنا للتميز والنهضة. أتعلم أنني وهبت كل مالي ووقتي للعلم؟ ولا زلت وسأبقى!!

تملكت القشعريرة من جسد مروان من فرط التأثر بكلمات حاييم وبعد مغادرته مكتبه بدأ يعكف على شبكة الإنترنت للبحث والقراءة عن السبيرولينا؛ فوجد أبحاثاً متضاربة بين مؤيد لقيمتها الغذائية وبين من يعتبرها وهماً.

حضر مروان مبكراً إلى معمل الكلية والنفس تواقة لما تشتهي لكن فوجئ أن اسمه ليس مدرجاً في الطلاب الباحثين داخله، فسأل أمين المعمل عن الخطوات فقال له:

- موافقة الدكتور حاييم وتبرع بألف جنيه للمعمل في صورة أدوات معملية.

بالطبع المبلغ المادي لن يعجب والد مروان، فتحدث مع الدكتور حاييم على الهاتف حيث كانت لافتة خارج مكتبه بالأيام المكتبية وساعتها والغريب أنه كان يأتي في عكس هذه الأيام والأوقات تماماً، وكأنها موضوعة لمشاكسة شخص ما.

-آلو دكتور حاييم.

-أهلاً مروان كيف حالك؟



-الحمد لله بخير لقد حضرت اليوم إلى معمل الكلية ولم أجد اسمي كما وجدت التبرع المطلوب يثقل كاهلي.

-لا عليك يا مروان أنت ابني وستكون بمعملي وسوف أسخّر كل طاقات معملي لأجلك أنت وللعلم.

أرسل حاييم لمروان العنوان تفصيلياً برسالة على الواتس آب.. أسرع مروان في صباح اليوم التالي لمعمل الدكتور فوجده مكتظاً عن آخره بالطلاب فقال: ربما لا يبالي الدكتور بالإجراءات الاحترازية.

رحب الدكتور ضيف وهو معيد حديث بالكلية بمروان ولما وجده قلقاً قال له: اهدأ فأنت على مقربة من غرفة الصندوق الأسود.

-لا أفهم مقصدك!

-اصبر ومع الوقت ستفهم وأنت لم تسمع مني شيئاً اتفقنا..

-نعم اتفقنا.

حضر حاييم متأخراً ولأول مرة يجلس مروان مع حاييم الإنسان ولم يكن في المعمل سواه فقد انصرف الجميع.

بدا حاييم مرهقاً جداً ويود أن يحكي، فلم يسمع مروان وهو يسأله عن خطة العمل وراح يتحدث كما لو كان يهذي:

-أتدري يا مروان أني مظلوم في هذا العالم؟

-لماذا يا دكتور؟

-الأستاذة القديرة تريد المال غير قانعة بدخلي البسيط من الجامعة تريد الشقة الفارهة والسيارة آخر موديل لقد حرمتني من ابنتي... ابنتي الصغيرة اشتريت لها موبايل ولا تريد أن تتحدث معي.

استمر حاييم ومروان لا يقاطعه:

-أتدري أن أمي جنت عليّ أيضاً؛ فمن حبها في جارتها أم حاييم بحي اليهود بالموسكي والتي ظلت بمصر ورفضت العودة لإسرائيل عام **1956** مع طرد اليهود من مصر ومكثت بها حتى ماتت عام **1979** وحزنت أمي حزناً شديداً على جارتها العجوز وأسمتني باسم ابنها الذي سافر إسرائيل... تصور!!!

وراح يقهقه كالثمل بصوت عالٍ:

-بالله عليك ما ذنبي لأحمل اسماً كهذا جلب لي سخرية الآخرين.

ثم استطرد:

-إني أمقت قنديل لقد اغتالني ذاتياً وصنع مني مسخاً داخلياً مهشماً دائماً ما كان يطردني من مكتبه وأنا لا زلت معيداً ويعنفني أمام الطلبة والزملاء حتى أنه مرة سأل طالباً عن حامض الفوليك وعلاقته بفقر الدم فلم يجبه فقال له هل أتي لك بحاييم يجب عليها؟



لقد حولني طوال إشرافه على رسالتي للماجستير والدكتوراه لسائق أنقله بسيارتي إلى كل مكان يريده وأقف حاملاً حقيبته العظيمة حتى ينتهي من قضاء حاجته بالحمام!!..

اعتدل حاييم في جلسته ثم قال في حزم:

-ولكني أفضل منه على الأقل لا أرتشي ولا أبيع الامتحانات لطلبة الخارج من العرب المنتسبين للجامعة لقد طلب من طالب كويتي سيارة وسخان لمنزله.. تصور!

كانت العلاقة بين حاييم وقنديل شديدة الغموض فهما يظهران المودة أمام الجميع لكن كانت النفوس على غير انسجام خلف الأبواب المغلقة.

فجأة انتبه حاييم إلى أنه أفرط في الكلام أمام مروان ثم قال:

-مروان تعود أن ما تسمعه هنا أو تشاهده لا يخرج خلف هذا الباب فأنا غضبي سيئ الوقع، وبالتأكيد سمعت عن مصطفى الذي حول من الكلية بالكامل والسبب أنه لا يسمع الكلام.

نام حاييم فيما بقى مروان بلا نوم يتقلب في الفراش حتى الصباح فصلى الفجر بقلب خاشع وبدأ العمل من داخل المعمل، ومع الوقت بدأت الأمور في التكشف؛ فالطلاب جميعهم يعملون من أجل مشروعات حاييم التجارية في تربية السبرولينا والطحالب وفي إعداد الأبحاث الجاهزة للبيع في أجواء أشبه بالسخرة خاصة المصريين منهم، فنظافة الحجرات موكلة

ببعضهم وعمل الشاي والقهوة والعناية بأحواض الطحالب وضمان وصول الضوء لها ونظافتها أيضاً.

أظهر مروان بعض التململ مما يحدث وأفضى بذلك إلى ضيف ولم يكن يعلم أنه عصفورة حاييم المخلصة فأبلغه بالأمر بسرعة البرق فأحضر حاييم مروان وأغلق الباب ولأول مرة يرى مروان الوجه الآخر لدكتوره المفضل وهو يقول في حدة:

-أخبرتك أن ما يحدث هنا لا يخرج من هذا الباب ولكن يا صاحبي الواضح أنك تنسى فلا تجعلني أؤذيك، معي الطريق ممهد وسهل وخارجي المطبات الصناعية جاهزة والحفر أيضاً فانتبه جيداً كي لا تسقط ويضيع مستقبلك يا مسكين هباءً منثوراً.

-سيدي...

-لا أريد رداً سأمنحك فرصة أخيرة وسأوكل لك عملاً مميزاً مقارنة بأقرانك تكسب منه مالاً أيضاً هل رأيت كم أحبك.

-ما هو هذا العمل؟

تأكد حاييم من إغلاق الباب جيداً وطلب من مروان أن يغلق موبايله أمامه ثم قال له:

-سأختصك بعمل يدر عليك مالاً لبداً، واجعله سراً بيننا لا يعلمه زملاؤك هنا ستكون مسؤولَ تسويق معملي.

- كيف يا سيدي؟





-نسبة عشرة في المائة على كل طالب عربي تجلبه للمعمل لعمل أبحاثه.. أنت تستفيد والطالب يستفيد والعلم أيضاً.

لقد حصحص الحق وفهم مروان معنى كلمة العلم التي تجري على لسان حاييم كالعلك، فالعلم هو المطية التي يحمل عليها حاييم أوزاره..

بدأ الخوف يساور مروان من مغبة التمرد وفي الوقت نفسه كيف يواري مبادئه ومثاليته؟ ما العمل؟ إليك المشتكى يا الله هكذا جلس مروان يتمتم بعد أن صلى صلاة الظهر في مسجد قريب من المعمل.

بدأت الموجة العنيفة من كوفيد تستشري بقوة وكان القرار بتعليق الدراسة وفرضت قيود على السفر فوجد مروان في ذلك عذراً قوياً لحاييم حينما يسأله عن عمله في جلب الطلبة العرب.

وكانت إصابة جد وجدة مروان بكوفيد -19 اختباراً من السماء وحلاً في الوقت نفسه؛ فانقطع عن الذهاب للمعمل وأخبر حاييم برسالة على الواتس آب بالظروف الحالية.

كانت المستشفيات مزدحمة بالحالات ولا حل سوى العلاج المنزلي وكانت بعض الصيدليات قد حولت أدوية بروتوكلات كوفيد إلى سوق سوداء فالأدوية تباع بأضعاف أثمانها، وقد بذل والد مروان ما بإمكانه لعمل أشعة على الصدر وتحاليل وشراء الأدوية، لكن الأمور كانت أكبر من أن يتحملها دخله والتزاماته.

قرر مروان أن يساعد جديه مهما كلفه الأمر لكن دون المضي في طريق حاييم فاستغل قدرته على الكتابة باللغة العربية وإلمامه باللغة الإنجليزية وعمل "كفري لانسر" في ترجمة قصص وروايات من الإنجليزية للعربية وصوغها لصالح بعض دور النشر مما جلب له بعض المال وأعانه على تخطي هذه المحنة بسلام وشفاء جديه...

انقضت فترة الإجراءات الاحترازية وحان الوقت للعودة للجامعة.. كان ما يؤرق مروان كيف سيقابل حاييم من جديد..

ذهب مروان باكراً للجامعة وكانت المحاضرة الأولى لحاييم والذي تغيب عنها حيث أصيب بكوفيد**19** فوجد مروان أن الواجب السؤال عنه فاتصل به:

-مرحباً دكتور حاييم.. ألف سلامة عليك.

-أهلاً مروان _قالها حاييم في نبرة صوت خافتة_ أريدك ألا تغضب مني لم أقصد إذلالك وإنما فعلت بك وأفعل بغيرك ما فعل بي في الماضي.. كانت كحته شديدة، ثم أكمل قائلاً: ادعُ لي فربما كانت النهاية.

-سأفعل بإذن الله. قال مروان.

****



القصة الثانية

النفس الأمارة

-لا حرمني الله من عطفك وبركتك يا حاج بركات.

تقولها سيدة مسكينة مسنة أو لا عائل لها، ثم تقبل اليد المباركة بعدها يجلس الحاج بركات بلحيته الحفيفة البيضاء وجلبابه الأبيض جلسته المعتادة رافعاً قدماً على قدم، والسبحة التي لا تفارق يديه أمام باب الصيدلية التي يمتلكها سعيداً منتشياً، والناس قد رأوا جوده وكرمه وربما سمع بأذنيه عبارات من الثناء على قلبه الحنون. كان آخر عهد الحاج بركات بالوظيفة الحكومية مديراً بأحد البنوك الاستثمارية، ونظراً لخشيته من أن يكون راتبه من حرام نظراً لفوائد البنوك، فقد طلب نقله للفرع الإسلامي بالبنك درءاً للذرائع.

رزق بركات بأربعة أبناء وتوفيت زوجته مع ولادة طفلهما الرابع فتولى بركات مسؤوليتهم جميعاً ويا ليته ما فعل!! دفع بهم جميعاً للالتحاق بالصيدلة مع أن ميولهم لم تكن أبداً في هذا المسار فسيف يود الالتحاق بسياسة واقتصاد ومحي يود الالتحاق بسياحة وفنادق ومحمود بآداب تاريخ وهادي بطب لكن سيطرة بركات الطاغية وسطوته هي الغالبة ويده الطولى

تضرب بعنف على أقدار أولاده وأحلامهم؛ فجعل وجهتهم جميعاً الصيدلة حيث الاستثمار والتجارة.

أقام بركات صيدلية في الحي الذي يقطنه مستخدماً رخصة حمراء (رخصة الهدم للصيدلية العامة) وأقنع البنك بعمل تعاقد مع الصيدلية وجعل ابنه هادي مديراً للصيدلية فيما فر الأبناء الثلاثة الباقيين فور تخرجهم للعمل بالدول العربية.

كان هادي الابن الأصغر والأضعف لقد دفع به دفعاً إلى إدارة الصيدلية على غير إرادته لكن ليس من سبيل أمام رغبة الأب مما ولد لديه شعوراً مكبوتاً بالظلم والقهر.

لم يكن هذا التغول من جانب الأب على مسار أبنائه الوظيفي فحسب بل العاطفي أيضاً، فقد قمع وبشراسة أول قصة حب في حياة هادي فرفض خطبته لزينب الفتاة الطيبة والرقيقة والمعيدة بالكلية والسبب فقط جسارة الابن على الاستقلال والاختيار مما يتطلب سرعة القمع في المقابل كي لا يتشجع على المزيد من الخطوات في اتجاه التمرد على السلطة الأبوية المطلقة.

استسلم هادي في النهاية وترك حبه الأول والأخير وبدأ يتحول في اتجاهين المال والقراءة في الصيدلة فجلسة واحدة كمندوب دعاية مع هادي تشعرك بالصداع الأليم فلو شاء حظك أن يكون منتجك مضاد للأكسدة مثلاً



فعليك أن تجلس كالتلميذ في حضرة أستاذه، لتسمع قصة الذرة كاملة من الألف إلى الياء إلى أن يصل للإلكترون الشارد الذي صنع مشكلة الأكسدة وبعد أن نتنهي المحاضرة، يبدأ حديثاً شاقاً للحصول على أعلى خصم على الدواء.

أخذ هادي من الوالد فكرة التعاقد مع موظفي البنك وبدأ يطورها في حيز من الفهولة فكان يستبدل لموظفي البنك أدويتهم التي تكتب لهم بواسطة دكتور البنك بمستحضرات تجميل وحفائض أطفال، وتتحول الروشتات بقدرة قادر من أصناف إلى بونات بقيم مالية مؤجلة وأرصدة للموظفين في دفاتر كبيرة.

كما جلب هادي عدداً من الأطباء ودفع إيجارات عياداتهم من ماله ودفاتر روشتاتهم باسم صيدليته في مقابل أن تكون وجهة مرضاهم لصيدليته وحسب، فكان الأطباء يتفننون في الكتابة بخطوط غير مفهومة ورموز لا يقرأها سوى هادي.

كل من يعمل مع هادي في الصيدلية متهماً أثبت العكس أو لم يثبت فالكاميرات في كل مكان بالصيدلية وموصولة بهاتفه المحمول ليرى كل صغيرة وكبيرة، وإذا أخطأ صيدلي لديه جديد ولم يصرف دواء لمريض لعدم المعرفة أو ثمة شك لديه أو مريض أخذ العلاج منه وأرجعه، فيتم خصم قيمة الدواء من هذا الصيدلي فالدواء الذي لم يصرف هو ربح كان المفترض

أن يحصل عليه وحتماً يحصل عليه، أما من أرجع الدواء فالصيدلي لم يكن مقنعاً له بما يكفي.

كان الحاج بركات راضياً عن خطوات ابنه المباركة في اتجاه الثراء لكن في الوقت نفسه كان متعففاً أن يكون له رصيد مثل زملائه في البنك في سجلات الصيدلية خشية أن تتلوث يديه الطاهرتين بالمال الحرام!!

أثرى هادي بشكل فاحش، لكن حياته كانت تعيسة للغاية وأصبح مدمناً لحقن الديازيبام يحقن نفسه بها، والتي تساعده على النوم الهادئ، وأصبح وقته موزعاً بين الصيدلية وصيد الأسماك، ثم الخلود إلى النوم بالحقن اليومية.

مع استفحال كوفيد-**19** انتقلت العدوى إلى الحاج بركات ومع تزايد الأعراض وشعوره أن جاثوماً قد أطبق على صدره دفع هادي مبلغاً كبيراً لإلحاقه بالعناية المركزة في مستشفى استثماري كبير. لكن قضاء الله كان أمضى وقبل وفاته قال بركات لابنه:

-يا بني أعلم أني قد ظلمتك أنت وإخوتك ولكني ظننت أن التربية القاسية تخرج نشأ قوياً. ربما أكون مخطئاً الآن فاستغفر لي أنت وإخوتك ولا تنسوني من صالح دعائكم فهذا لقاء ربي لم أعد عدته بما يكفي.

أجهش هادي بالبكاء متأثراً وقد فارق الأب الدعاء لقد ذهب السند والظهر ولم يعد له شيء في الدنيا، ومع حمله لجسد أبيه شعر أن الدنيا زائلة وأن



عليه أن يغير مسار حياته؛ فتبرع بالصيدلية لإحدى الجمعيات الخيرية وذهب لأداء العمرة، وأصبح مكانه الدائم مسجد الحسين يصلي فيه ويستغفر له ولأبيه.

****

القصة الثالثة

حصاد الوفاء

على شاطئ الإسكندرية الساحرة، تعانق أشعة الشمس الذهبية زرقة الماء على مد البصر، فيما تسترسل رمالها الصفراء كعروس تزينت بالذهب تسحر بمفاتنها الألباب والأفئدة هنا يروق للصيدلي حسين أن يفترش الأرض ليفضي إليها بمكنون صدره وأسراره، هنا يخط أحلامه عابثاً بعصاً صغيرة في الرمال وقد أسرته روعتها ليرسم دوائر تعلو بعضها فوق البعض. الدائرة الأولى الشقة، وقد تكفل بها والده الحاج نبيل الموظف بالبريد؛ فقدم له على إحدى الشقق السكنية التابعة للمحافظة، ودفع مقدمها من مكافأة نهاية خدمته والباقي تقسيطاً، والدائرة الثانية كانت الزواج وقد اختارت له أمه ابنة خاله وهي جاهزة لتتحمل معه خطوب الحياة وعثراتها، أما الدائرة الثالثة والأخيرة فكانت محطة ما بعد الدراسة وهي العمل.

لقد أنهى حلمه في دراسة الصيدلة وعليه البحث عن وظيفة بالخليج مثل أقرانه.

رحلة طويلة بين مكاتب السفر والعروض التي تهوي براتب الصيدلي لأسفل سافلين دوماً عن باقي الأطقم الطبية، توجت بنجاح حسين في الحصول على فرصة عمل في الكويت في صيدلية إحدى المستشفيات الخاصة.. صحيح أن



راتبه كان قليلاً إلا أنه يستطيع أن يعيش به عيشة معتدلة فتهلل الأهل وفرحت العروس المنتظرة ولاحت أحلام الدعة والراحة في مخيلة حسين.

ما أن وصل الكويت حتى أسرع في نفس اليوم للالتحاق بالمستشفى في حماس وقبل تسلمه للعمل كان لابد وأن يمر على مدير الصيدليات الدكتور أمام والذي كان مشغولاً فجلس في سكرتارية مكتبه مع صيدلي شاب تظهر لكنته أنه سوري فراحا يتبادلان الحديث.

-مرحباً أنا أخوك إياد صيدلي من حماة هنا منذ خمس سنوات.

-وأنا حسين من مصر.

-أهلاً بك... أهذه أول مرة لك بالسفر؟

_ قال حسين: نعم.

-إذاً يا صديقي كن حذراً، أنت على موعد مع اللهو الخفي وعدو الصيادلة الأول.

-لا أفهم مقصدك دكتور إياد!

-احترس في الحديث مع إمام فهو لطيف الحديث ولكنه كالثعبان في لدغته

- كيف؟

-لإمام طقوس في مقابلة الصيادلة الجدد فله قرون استشعار يشتم بها رائحة أصحاب الطموح المقلق، لقد بذل جهوداً مضنية من التملق والنفاق حتى أصبح مقرباً من صاحب المال وموضع ثقته ومع فراسته المشهود لها في ذلك فهو خبير أيضاً في اختلاق العراقيل التي تجهض الطموح ووضع

مطبات صناعية لكل من يُظهر ميزةً أو فكراً عالياً ويكون السعي بكل السبل لمغادرة صاحب الطموح إلى موطنه الأول على قمة أولويات إمام.

لقد فرغ إمام من مهامه فاستدعى حسين والذي خالجه القلق وساورته الشكوك بين مصدقٍ لإياد ومكذبٍ له! ولكن ما الذي يجعل إياد يقول ما قال؟!

قطع إمام شرود حسين بقوله:

-كيف كانت رحلتك أيها الصيدلي الهمام أنا صعيدي أباً عن جدٍ ولي شقتي في أسيوط موطني وموطن جدودي.

أنت من الإسكندرية يا حسام؟ قرأت ذلك في سيرتك الذاتية التي أرسلت لي من مكتبنا بمصر.

على العموم ستكون سعيد في أسرتنا الصيدلانية المتواضعة، وإن كان لديك أية أفكار في تطوير العمل لا تتردد في طرحها علي... بابي وهاتفي مفتوح لك.

-بكل سرور دكتور إمام أتمنى أن أكون عند حسن ظنك.

نسي حسين نصيحة إياد وبدأ يجتهد في زيادة دخل الصيدلية التي أوكلت له بشكل كبير، وأحدث طفرة عبر خلق علاقات قوية مع العملاء جعلتهم يثقون في نصحه وصدقه فعظمت سيرته ووصلت لصاحب المستشفى في غفلة من إمام.

مع اتجاه المستشفيات للحصول على الجودة بشكل إلزامي كانت من متطلبات الجودة أن تكون هناك غرفة معقمة مخصصة لتحضير المحاليل الوريدية



ولها مواصفات محددة، ولابد وأن يكون الصيدلي بداخلها حاصلاً على شهادة تدريب تؤهله لهذا.

اختار صاحب المستشفى حسين وأصدر قراراً مباشراً بذلك دون العودة لإمام مما أثار حقده، فشعر أن البساط ينسحب من تحت قدميه فحاول السعي بكل قوة لإفساد العلاقة بين حسين وصاحب المستشفى حتى يضيع على حسين الفرصة في الحصول على الشهادة التي تؤهله ليكون مختصاً بالمحاليل الوريدية.. لكن إرادة الله انتصرت لسلامة طوية حسين واستمر صاحب المستشفى في دعمه..

ما أن حصل حسين على الشهادة حتى بدأ في وضع خطة لمتطلبات الغرفة كالضغط بداخلها وهو موجب للأدوية العادية وسالب للأدوية الخطرة ووجود جهاز للتعقيم ووضع خط فاصل بين المنطقة المعقمة وغير المعقمة.

بدأ إمام يعرقل متطلبات حسين ويصفها بالمتزايدة والمكلفة للغاية ويقنع صاحب المستشفى أن النفقات يمكن أن تختزل لأقل من النصف لو قل تعنت حسين في متطلباته واكتفى بغرفة سالبة الضغط.

فبعث صاحب المستشفى لحسين وقد بدا عليه الغضب الشديد:

- لقد رفعوا إليّ خطتك وإصرارك عليها، إنني لم أصطفيك وأرسلك لتكون صداعاً إضافياً فلدي من المشاغل ما يغني وأعلم أنك لن تلوي ذراعي بمتطلباتك ولو أغلقت المستشفى.

-يا سيدي هذه المتطلبات العالمية ونصت عليها المعايير فالغرف ذات الضغط السلبي تمنع هروب الهواء الملوث منها للغرف الأخرى، وهو أمر مهم للأدوية الخطرة ذات السمية تماما كغرف العزل لذوي الأمراض المعدية التي تعتمد نفس الفكرة أما الغرف ذات الضغط الإيجابي فهي تضمن خروج الهواء منها بدلاً من الدخول إليها وبالتالي تمنع الهواء المحمل بالبكتريا من الدخول.. وما أوتيت ذلك عن علم عندي بل متطلبات جودة وأساليب لمكافحة العدوى..

-لا أفهم خطابك هذا ولكن أفهم أنك تحملنا فوق طاقتنا وما نستطيع إنجازه هكذا أكد لي مديرك إمام.

خرج حسين وهو يكتم غيظه وغضبه، إنه إمام رأس الحية الرقطاء قد بث سمومه كان لإياد حق...

بدأت كوفيد في الانتشار وعلقت زيارات الجودة لحين زوال الغمة وقل الصدام بين الإدارة وحسين ولكن إمام كالدينامو إذا أراد إلحاق الأذى بأحد.

كان منع الصلوات الجماعية من ضمن الإجراءات الاحترازية، ولكنْ العاملون اجتمعوا على الصلاة فوق سطح المستشفى فقد كان الوقت رمضان وكان من ضمن المدعوين للصلاة والإفطار إمام وحسين.



نما خبر الصلاة والإفطار الجماعي لإدارة المستشفى وفتح تحقيق موسع سرب خلاله إمام أن حسين هو صاحب الدعوة فاتخذت الإدارة قراراً بإنهاء خدمات حسين مع آخرين..

رجع حسين إلى مصر آسفاً لما حدث لكن تشجيع والده وزوجته له بالاستمرار وعدم الرضوخ جعلته يستمر، فانضم إلى جهود زملائه في فرق العزل في مصر حتى أصيب بكوفيد **19** ومات متأثراً بالمرض فحزن الجميع عليه وبقيت ذكراه مشرفة.

****

القصة الرابعة

حكاية أم أكرام

-لقد فقدت كل شيء، اللمسات الحانية والحضن الدافئ السند والعائلة.. ماذا تبقى لي حتى أبقى؟

قالتها خديجة وهي تودع جيرانها وحطام بيتها المحروق وما تبقى من ذكريات وسط ركامه.

حرب ضروس لا تُبقي ولا تذر، أكلت الأخضر واليابس ووباء مخيف اجتاح العالم وحط رحاله في الجسد السوري الهزيل، فصار المرض والفاقة عنواناً لهذا البلد الذي شهد ربيع الحضارة الإسلامية يوماً مما اضطر الكثيرون إلى ترك وطنهم بحثاً عن ظروف حياتية أفضل، ومنهم الست خديجة وابنتها إكرام.

فقدت خديجة زوجها وأسرتها المكونة من خمس أولاد وإكرام في غمضة عين مع قذائف الجماعات المسلحة على إدلب، ونجت بإكرام الطفلة التي لم تتجاوز السابعة من عمرها.

رحلة من الشجن منظر الدماء لا يفارقها ورائحة الدمار والخراب في كل شبر لا ترحل عنها لم يقطع شرودها سوى كلمات العم مجدي:

-مرحباً بك ست خديجة أنت في وطنك الثاني مصر.



عم مجدي رجل طاعن في السن رافق والد خديجة في فترة الوحدة بين مصر وسوريا، حيث جمعتهما أواصر الصداقة والأخوة في معسكرات الجيش السوري في القامشلي وبالرغم من الانفصال بقيت جسور الوحدة تربط بين قلبيّ الصديقين ولم تنقطع بينهما الرسائل حتى وفاة والد خديجة في التسعينيات من القرن المنصرم.

كانت وصية والد خديجة لها بالالتجاء إليه في حالة حدوث أي مكروه لا سمح الله وكأن قلبه كان يشعره بتقلبات القدر. وفر عم مجدي لخديجة وابنتها مسكناً صغيراً وتولى دفع إيجاره عنها.

-أنت في مقام ابنتي يا ست خديجة ولولا تواجدها مع زوجها بالخليج لأمرتها أن تكون بالقرب منك وملازمة لك، ولا تحملي هم المال أدبر كافة مصاريف إقامتك بمشيئة الله.

-شكراً يا عم مجدي لقد قمت بالواجب وأكثر. أملك مدخرات تكفي لعمل مشروع صغير.

فكرت خديجة في استثمار موهبتها في عمل الحلويات الشامية إضافة لدراستها للتغذية العلاجية وساعدها عم مجدي في توفير دكانٍ صغيرٍ بالحي وألح في إهدائها المتطلبات الأساسية للدكان من زيت وسكر وخلافه فوافقت على مضض بشرط أن يكون ذلك ديناً عليها تسدده حينما تتسع تجارتها، فوافق الرجل.

إلا أن عم مجدي خشي عليها من منافسة محال الحلويات حولها وستكون منافسة غير متكافئة، لكن إكرام أعملت ذهنها في فكرة غير تقليدية.

-لا تقلق يا عم مجدي لدي فكرة جديدة... إننا في فترة جائحة وأكثر المعرضون لها مرضى السكر والسمنة، فماذا لو صنعنا لهم حلوى صحية بمكونات غير تقليدية مثل العسل ودبس التمر وجوز الهند، كبدائل للسكر وبأشكال غير تقليدية مثل الكريب وكوكيز الكيتو.

-ما شاء عليك يا أم إكرام وفقك الله!

بالرغم من صغر سن إكرام إلا أنها كانت تعي معاناة أمها وما شهدته من أهوال فكانت تساعدها وتقوم بتغليف الحلوى التي تصنعها الأم وتجلس بها في مقدمة الدكان وبصوت صغير ودافئ تنادي على المارة:

-حلوى صحية يا عمو.. حلوى صحية يا خالة.

كان نداء الطفلة غريباً فما معنى الحلوى الصحية؟! مما ولد الفضول لدى أهل الحي للتجربة وصار المذاق الفريد لهذه الحلوى مع مناسبتها للأمراض المختلفة دعاية قوية لدكانها الصغير.

كانت فرحة الأم عظيمة حينما التحقت إكرام بالمدرسة لقد أحست أن كل ما مضى يهون أمام هذه اللحظة فالمستقبل الأجمل قادم بها ومعها.

وبين مساعدة أمها والدراسة بجد نجحت إكرام في الفصل الدراسي الأول وكانت الأولى على المنطقة التعليمية، وتحقق حلم الأم ومع العطلة الدراسية ثم تحول الفصل الدراسي الثاني ليكون اختيارياً بين الانتظام الدراسي أو



التعليم عن بعد، اختارت الطفلة التعليم عن بعد لتساعد أمها بشكل أكبر وبدأ الإقبال يكثر على حلوى الست خديجة من كل حدب وصوب، ولم يعد مقتصراً على أهل المنطقة؛ فاختارت محلاً أكبر وأوسع واختارت له اسم حلويات الصحة مصرية وسورية.

****

القصة الخامسة

للعدالة درع وسيف

- أريد موضوعات ساخنة وقضايا تشعل المنصات الإعلامية ومواقع التواصل الاجتماعي... مهمة الصحفي يغلف الخبر ويضيف إليه البهارات والتوابل هذه مهمتكم الحقيقية.

كلمات لخص بها الأستاذ علوان رئيس التحرير مهمة الصحفيين بجريدته خلال الفترة القادمة.. كم كانت سعادة تحية الفتاة العشرينية المحجبة ذات الملامح الرقيقة والعينين الواسعتين وهي تجلس في أول اجتماع لها وسط زملائها من الصحفيين.. لقد قطعت مسيرة شاقة حتى التحقت بإحدى الصحف الخاصة كمحررة تحقيقات، وأصبحت وجهاً لوجه أمام أستاذ علوان الصحفي الشهير ونجم البرامج التليفزيونية.

حديث مع جامع قمامة لا يجد قوت يومه وقد سرحته الشركة، بعد أن طعن في السن ولا يستطيع الحركة وتخلى عنه أبناؤه وأصبح في الشارع يبحث عن غرفةٍ بسيطةٍ ومالٍ قليلٍ... خبر أم مات عنها زوجها ولا تجد من يعولها وتود كشكاً بسيطاً يؤمن لها احتياجات أطفالها اليتامى.. كلها موضوعات قضت تحية شهورها الأولى في الإعداد لها وتقديمها وفي كل مرة لا تنال رضا علوان وتصطدم برد واحد: أريد "خبراً مطرقعاً" على حد وصفه.



ومع ذلك لم يفت ذلك في عضد تحية ومضت في رحلة يومية بين الأقسام لعلها تحصل على خبر يرفع من شأنها أمام علوان.. في قسم السيدة زينب كان عم وهبة محبوساً قيد التحقيق في وفاة ابنه المريض بالصرع وتشاء الأقدار أن تراه تحية فجلست لتعرف منه قصته. راح الرجل السبعيني ذو الشعر الأبيض المنحصر يحكي وهو يكبح دموعه أن تنسال منه:

-لقد رزقت منذ أربعين عاماً بولد بعد زواجي بخمس سنوات وبعد رحلة مضنية بين الأطباء لمعرفة سبب تأخر الإنجاب، وأنت تعرفين يابْنتي المجتمع الريفي، وأنا منه وأسئلته التي لا تنتهي.. كانت فرحتي غامرة حينما رزقت بهيثم، ولكن شاءت الأقدار أن يولد مريضاً، ونتيجة لنقص الأكسوجين أثناء الولادة يصاب بالصرع وأنا موظف بالسكك الحديدية وراتبي بسيط فحمدت الله ورزقت بعده بولدين مصحين والحمد لله وألحقته بالتعليم معهما، ولكن قدراته الذهنية كانت ضعيفة فرسب عاماً بعد عام، مما اضطرني إلى إخراجه من التعليم وبقي في المنزل أرعاه ولا أفرق بينه وبين إخوته،ا على الرغم من ثقل الظروف المادية كنت أدفع من راتبي وأعمل عملاً إضافياً كمساعد في صيدلية بنفس الحي الذي أقطن فيه حتى أستطيع أن أوفر نفقات علاجه المرتفعة والتي أثقلت كاهلي وكنت أفعل هذا وأنا راضٍ وعن طيب خاطر.

وقبل أن تطرح تحية سؤالها عن سبب دخوله القسم إن كان قد أدى رسالته بكل هذا الإخلاص كان الشرطي قد أخذه مكبلاً للحبس.

غادرت تحية القسم وهي تتطلع لليوم التالي بشغف لتعرف بقية القصة فلما كان الصباح طلبت مقابلة عم وهبة مجدداً بشكل رسمي وتمت الموافقة على طلبها.

دخل عم وهبة الغرفة والقيود الحديدية تعتصر يديه، مكسور الخاطر، عيناه شاردتان من هول الموقف، يمشي ببطء وكأنه يحمل جبلاً على كتفيه فشعرت تحية بالأسف لحالة الرجل الذي تشعر من أعماقها أنه بريء وأنّ هناك شيئاً خطأ.

-عم وهبة لماذا أنت هنا الآن؟

-أنا هنا ظلماً يابْنتي لا أحد يريد أن يسمعني.. ثم أجهش الرجل بالبكاء.

- رويداً رويداً. أنا هنا لأسمعك يا عم وهبة أكمل وكلي آذان صاغية.

واصل الرجل العجوز حديثه:

-لقد بلغ هيثم الثانية والأربعين من عمره وتعقدت حالته بشكل كبير فلم يعد بمقدوره الحركة ويعاني من تبول وتبرز لا إرادي..

-لا حول ولا قوة إلا بالله.

-ذهبت إلى الطبيب مجدداً وأجريت له رنيناً مغناطيسياً جديداً؛ فبدل الطبيب على أساس نتائجه بعض الأدوية بأخرى وزاد في جرعة بعض الأدوية وكان هيثم قد وصل بالفعل للجرعات القصوى من أدوية الصرع وبعد بضعة أشهر دخل ابني في غيبوبة وفارق الحياة.



- رحمه الله يا عم وهبة.. عنايتك به طريقك للجنة بإذن الله وماذا حدث بعد ذلك؟

-ذهبت إلى الطبيب لاستخراج شهادة الوفاة فارتاب في ملابسات الوفاة وتم القبض عليّ لاشتباهه في الوفاة وأنها تمت بجرعات زائدة من الدواء.

- لا تؤاخذني يا عم وهبة لو كنت صادقاً ستظهر براءتك حتماً.. لقد أخذنا الحديث ولم أعرفك بشخصي البسيط أنا تحية صحفية وأعدك أن أسلط الضوء على قضيتك في الصحيفة التي أعمل فيها.

-شكراً لك يابْنتي لعل الله قد وضعك في طريقي حتى يظهر الحق على يديك.

-لا تقلق يا عم وهبة سأبذل كل ما في وسعي للوصول للحقيقة.

غادرت تحية إلى الصحيفة، ثم بدأت في عمل تقرير عن عم وهبة تحت عنوان بريء في قفص الاتهام.

بالطبع كافة الموضوعات لابد أن يطلع عليها علوان قبل النشر فلما وقع بصره على موضوع تحية استدعاها وقال في حدة:

-ما هذا؟ ألا تتعلمين؟ بريء ماذا؟ وهل في زماننا أبرياء يعيشون؟ ثياب البراءة لا تنطلي على الصحفي الماهر.

-سيدي ربما كانت هذه الحقيقة.

-وما أدراكِ أنها الحقيقة؟ هل شققتِ عن قلبه لتقولي بملء فيك أنها الحقيقة؟ على العموم اتركي لي هذا الأمر سأفعل ما أراه صائباً نحوه.

غادرت تحية مكتب علوان وهي مندهشة من ردة فعله فلما طالعت الصحيفة في اليوم التالي وجدت الخبر: رجل مسن يقتل ابنه المريض هرباً من نفقاته... وتداول النشطاء الخبر بشكل واسع وراحت اللعنات تنصب على الرجل المسكين على مواقع الفيس بوك وتويتر فاتصلت بعلوان لتفهم لماذا بدل الحقيقة؟!!

-سيدي ربما قد حدث لبس في تقرير عم وهبة فالرجل تحمل نفقات ابنه على مدار أربعين عاماً فلماذا يقتله اليوم؟

-لقد استفسرت عن الأمر وهذه هي الحقيقة.

حزنت تحية أنها خذلت الرجل الذي وثق بها ولكن ما باليد حيلة...

مضى شهر فإذا بكوفيد**19** تجتاح العالم.. فأصيبت والدة تحية بكوفيد في البداية ومنها انتقل لتحية التي لازمت الفراش وانقطعت عن الجريدة فكانت الحمى المصحوبة بالقشعريرة تطاردها وتلازمها بالليل فلما كان اليوم الثالث من المرض راحت تهذي: وهبة وعلوان. وبجوارها أمها فتعجبت وتكرر الأمر في اليوم الخامس والسادس.

بدأت تحية تتعافى وتسترد صحتها فسألتها أمها: أما علوان فأعرفه ما بال وهبة التي تذكرينه في نومك؟

قصت تحية لأمها نبأ الرجل وما فعله علوان رئيس التحرير فقالت لها أمها: الله أعلم أين الحقيقة؟ ولكن نستطيع أن نرد للرجل اعتباره إن كان على



حق. سأتصل الآن بنبيل ابن أختي وهو محامٍ كما تعلمين وقد يستطيع استجلاء الأمر.

قصت الأم الحكاية التي سمعتها من ابنتها على نبيل فوعد أن يهتم بالأمر فذهب للقسم للقاء وهبة والتثبت منه حول بعض الأمور فوجد أن وهبة قد أخلي سبيله على ذمة القضية، وبقراءته للتحقيقات التفصيلية مع وهبة وجد أن دفوعه لا تصدر إلا من رجل حسن النية لذا تجمعت الخيوط ضده فبدأ يفحص ملف القضية بعمق فوجد العديد من الثغرات منها إهمال شهادة الأطباء الذين عرضت عليهم الحالة، فذهب إليهم نبيل وحصل منهم على تقارير طبية تفيد أن الحالة كانت على مشارف النهاية، وأن الوفاة قد تكون لأسباب محتملة كثيرة منها تزايد الجلطات المخية المحتملة مما قد يظهر براءة عم وهبة.

فرحت تحية أخيراً لقد أوفت بما وعدت وذهبت مع نبيل ليبشرا عم وهبة في بيته وقد حصلا على العنوان من المحضر، فوجدا أن الرجل قد غادر مسكنه وقد سافر وولداه للخارج ولا يوجد أحد يعلم أين ذهب؟

ولكن عم مجدي جار وهبة كان لديه خطاب من وهبة تركه لأولاده فاحتالت تحية للحصول عليه وادعت أنها زوجة لأحد ولديه وجاءت في إجازة من الخارج فأعطاها إياه وبدأت تطالعه في شغف:

-ولداي الحبيبان.

حينما تقرأ هذا الخطاب ربما أكون في عالم آخر.. أنشد فيه الحق والعدل... يعلم الله أني لم أرتكب هذا الجرم بحق أخيكما، ولم أفعل في حياتي ما يشين.. وحتى أرفع عنكما عار وزر لم أرتكبه ولم أستطع إثبات أني لم أرتكبه فقد اخترت الرحيل وللأبد وأنا كلي ثقة أن الحق سيظهر يوماً.. اسألكما الدعاء.

- الظاهر لقد وصلنا متأخرين يا نبيل ربما يئِس الرجل من براءته تحدثني نفسي أن شيئاً قد أصابه. قالت تحية بعد أن انتهت من مطالعة الخطاب.

-أن نصل متأخرين خيراً من ألّا نصل أبداً. قال نبيل في حماس.

-عندك حق وليكن لقضية عم وهبة درع صحفي هو أنا وسيف قانوني هو أنت. قالت تحية.

همت تحية وكتبت تقريراً كاملاً عن عم وهبة كما سمعت منه وأضافت إليه ما توصل إليه نبيل وناشدته في نهاية الموضوع بالعودة للحياة مجدداً ونشرته على صحيفة إلكترونية فوجد صدى واسعاً، فوجد علوان في ذلك تحدياً لأطروحته وفصلها من عملها..

****



القصة السادسة

سيؤتينا اللّه من فضله

-بدأت أعاني مؤخراً من نقص في الإبصار وقرح مؤلمة بالفم وألم بالمفاصل ورأيت ندبات على كيس الصفن يا دكتور مدحت.

بهذه الكلمات أوجز مصطفى مجموعة أعراض بدأت تنهش جسده النحيل وهو القابع في البيت منذ ثلاثة شهور، بعد أن قررت شركته التي يعمل فيها تسريحه مع عدد من العاملين خفضاً للنفقات بعد أزمة كوفيد**19**. يعيش مصطفى وحيداً في غرفة استأجرها ليكون على مقربة من عمله وبعد فصله أظلمت الحياة في عينيه، لم يعد لديه مورد رزق، وتراكمت عليه الديون فباع كل ما كان يملكه من متاع بسيط وانكب على شبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ليل نهار، يقضي وقته ولتكون عزاءً ومهرباً له من واقع الحال. في البداية أحس أن هذه الأعراض ربما كانت من طول المكوث بالبيت بلا عمل لكن مع تصاعد الألم كان لزاماً أن يبحث عن حل لا يكلفه في الوقت نفسه..

سرح في ذكريات الصبا والشباب وفجأة تذكر صديق طفولته ببلدته الأصلية السنبلاوين الدكتور مدحت اختصاصي الجلدية والتناسلية فلما لايذهب إليه؟ وقد سمع أنه افتتح عيادة ببلدته.

كانت العيادة غير مزدحمة وكانت مساعدة الطبيب تجلس في صدر العيادة فقدم نفسه إليها أنه صديق الطبيب ويريد تهنئته حتى يفلت من ثمن الكشف.

فوراً تذكر الدكتور مدحت صديقه ورحب به وطلب له فنجاناً من القهوة وراحا يتحدثان عن أخبار الأهل، ثم عرض مصطفى شكواه بعد أن استمع مدحت إلى أعراض صديقه قال:

- من خلال اختبار بسيط يا مصطفى يمكنني تشخيص حالتك ولكن لدي بعض الأسئلة أولاً:

-هل سبق أن أصيب أحد من أسرتك بأمراض مناعية؟

- لا أعلم تحديداً ولكن أغلب ظني لا.

ـ هل ثمة تغييرات قد طرأت على حياتك؟

تملك الحياء من مصطفى ثم أجاب: أجل لقد مارست الجنس مع فتاة تعرفت عليها الفترة الأخيرة على الفيس بوك وتوطدت بيننا العلاقة بشكل سريع.. أعلم أنه خطأ كبير ولكن هذا ما حدث.

-إذاً دعنا نجري الاختبار.

وضع الدكتور مدحت إبرة معقمة تحت جلد مصطفى، ثم طلب منه أن يحضر بعد يومين فلما حضر وكشف عن ذراعه وجد نتوءاً أحمر في موقع الإبرة؛ فاغتم مدحت.



رأى مصطفى في عيني صديقه الدكتور مدحت الحزن وكأنه لا يريد أن يصارحه.

-ماذا هناك صارحني أخي العزيز؟

قال مدحت:

- أشك في كونه مرض بهجت، لكننا بحاجة لمزيد من الفحوص لاستبعاد تشخيصات أخرى متداخلة.

_ ضحك مصطفى وقال: بهجة يا بهجت.

قال مدحت ولم يزل العبوس لم يفارق وجهه:

_ للأسف ليس ببهجة، فهو مرض مناعي نادر ربما يكون وراثياً أو أصابك من بكتريا أو فيروس.. هو لا ينتقل جنسياً. عليك أن تتأقلم مع أعراض هذا المرض وسأبدأ معك في خطوات العلاج ولا تتهاون فهو مرض قد يكون مميتاً أحياناً أبعد الله عنك شر البلاء.

كانت الفتاة التي تعرف عليها مصطفى هي ماري فتاة في العشرينيات من عمرها دفعها انفصالُ أبويها وبقاؤها مع جدتها العجوز دون عمل بعد تخرجها منذ خمسة أعوام إلى التسلية والدخول في مغامرات عاطفية وجنسية بمقابل أحياناً وبدون مقابل، لقد أضحت عادة وهواية لديها. بدأت علاقتها بمصطفى على الفيس بوك، ثم كان موعداً شعرت معه بالارتياح وكان بعده الوقوع في شراك الخطأ.

بعد لقاء مصطفى بمدحت وإحساسه أن شبح الموت ربما يعانقه ولا إفلات منه إن لم يكن بكوفيد، فبهجت حاضر لذلك بدأ مصطفى يغير من طريقة حياته حتى يلاقي الله بصفحة مختلفة مدادها طاعة وسطورها عمل واجتهاد، وعزم عزماً أكيداً أن يغادر حياة اللهو وممارسة الحرام، وكان شهر رمضان فرصة كبيرة قرر اغتنامها وعلى الرغم من الإجراءات الاحترازية فقد اتفق مع صديقه وجاره الشيخ عبد المنعم المدرس بالأزهر أن يصليا سوياً على سطح البيت جميع الفروض مع الأخذ في الاعتبار إجراءات التباعد.

توافق مصطفى والشيخ عبد المنعم على عمل مشروع دار نشر وشركة شحن بين المحافظات لنقل الكتب لطالبيها مستغلين إغلاق المعارض والتوسع في الخدمات الهاتفية والإلكترونية..

مطاردات ماري له وتوسلاتها له بالعودة لم تثنه عما بدأه بل قرر أن يغير أيضاً من ماري ومع أول اتصال من ماري قال لها:

-أدعوك إلى مكتبي الجديد يا ماري.

تملكت الفتاة الدهشة وقالت: أي مشروع؟ وأكملت بسخرية: أعلم أن إمكانياتك محدودة أو بعبارة أوضح منعدمة!!

-لا تتعجلي.. سترين كل شيء.

قدمت ماري في الموعد فكان في انتظارها مصطفى وطفقا يجولان بالمكان فوجدت أن مقر الدار حقيقة وملحق بها مطبعة، فجذبها صوت الطباعة



وأنهار الأوراق المتدفقة بالسطور والأغلفة الملونة.. لقد تيقنت أن عجلة العمل قد دارت فما أن جلسا بالمكتب حتى بادرت مصطفى بالسؤال:

-من أين لك هذا؟

-إنه فضل الله ما رأيك هل تشاركينني؟ وجعل يضحك.

ـ قالت وبكل ثقة: نعم ولدي بعض المال أستطيع أن أشارك به.

ـ فقال مصطفى وهو بين الدهشة والحزم: لا.

ـ قالت ماري: لا تخف إنه من مال حلال، هذا ميراثي من أبي وأمي.

ـ ضحك مصطفى وقال: إن كان هكذا فمرحباً بك.

وبدأا معاً يضعان ملامح مشروعهما الحلال..

****

القصة السابعة

المرأة إذا شاءت

أصابت الجائحة وجه العالم بالشلل التام، التباعد الاجتماعي صار له الكلمة العليا، المدارس توصد أبوابها، الآباء يخشون على أبنائهم، أصبح التعليم إلكترونياً، وفقد الأطفال موطن التربية والتعليم ألا وهو المدرسة.. أجواء من الفراغ جعلت الدكتورة أميرة التي تعمل طبيبة للأسنان تخشى على طفلتيها نور وأسيل من البقاء لفترات طويلة أمام الإنترنت وقنوات الأطفال، فقررت أن تقوم بدور المدرسة في غرس القيم في طفلتيها فكانت كل يوم خميس تصنع لهما عشاءً صحياً متنوعاً من الخضروات والفاكهة والعصائر الطازجة وتجلس معهما لتحكي لهما قصة من عيون التراث وكانت البنتان تتلهفان على سماع قصص والدتهما الشيقة وكلهما آذان صاغية.

تبدأ الأم قصتها:

-كان يا ما كان كان فيه زمان سيد من سادة العرب يسمى الحارث بن عوف كان سيد قبيلة بني مرة وهي قبيلة عربية مشهورة وقد بلغ من المال والمكانة الكثير وبقي فقط أن يتزوج.. ففاتح صديقاً له يسمى خارجة بن سنان المري برغبته في الزواج متباهياً بأن له من الثراء والجاه والمنعة ما يجعله فرصة ذهبية لأي بيت يطلب مصاهرته فمثله لا يرفض.



لكن صديقه صدمه

ـ قالت أسيل: كيف يا أمي؟

ـ قالت الأم: قال له صديقه الوحيد القادر على رفضك هو أوس بن حارثة الطائي إذا تقدمت لإحدى بناته.

-يا له من أمر غريب!! قالت نور.

-نعم يا نور لهذا فقد شق الأمر على الحارث وأراد اختبار صدق ما تحدث به صديقه.

-وكيف هذا يا أمي؟ قالت أسيل.

ـ قالت الأم: ذهب من فوره إلى ديار أوس وهناك لقاه أوس ففاتحه في أمر الزواج من إحدى بناته فرفض أوس.

-ياه لقد تبين الحارث صدق مقولة صديقه... يا له من أمر مؤسف قالت نور.

-أجل يا ابْنتي لقد رحل الحارث وهو غاضب.

-له الحق. قالت البنتان في صوت واحد.

-لكن أوس ندم على تسرعه، ولما فاتح زوجته وأم بناته راجعته فيما فعل وأشارت عليه أن يلحق بالحارث ويطيب خاطره.

-نعم المرأة يا أمي. قالت نور.

-كان الحارث أباً يوقر الشرع ويحترم حق بناته في القبول أو الرفض فلما دخل الحارث البيت عرض على بناته واحدة تلو الأخرى الزواج بالرجل.

-وماذا كان رد بناته يا أمي؟ قالت أسيل.

ـ قالت الأم: اعتذرت الابنة الأولى والثانية فيما وافقت ابنته الصغرى بهيسة.

-ولمَ اعتذرن غريب أمرهما؟ أترفضا سيد العرب! قالت الفتاتان.

- قالتا أنهما ليستا على القدر الكافي من الجمال ويخشين أن يطلقهن بعد فترة قليلة من الزواج خاصة أنه لا توجد صلة قرابة.

-مساكين قليلي الثقة بالنفس يا أمي.. قالت نور.

فرحت الأم بفراسة نور:

ـ شطورة يا نور صدق حدسك واستنتاجك فكانت بهيسة شديدة الثقة والاعتداد بنفسها على خلاف أختيها فوافقت متباهية بجمالها وخلقها وحسبها وأنها ليست بالمرأة التي تعوض إن طلقها زوجها، فسُرَّ الحارث وأبوها وكان الزواج.

-جميل يا أمي. قالت أسيل.

-لم تنتهِ القصة عند ذلك يا بنيتي لقد أرادت بهيسة أن تختبر خصال زوجها فلم ترضَ بزواجه حتى يثبت أنه كريم، يذبح الغنم ويقيم الولائم ليطعم الفقراء.

-جميل يا أمي! قالت نور، ثم استطردت: وهل بعد ذلك وافقت على إتمام الزواج؟

- قالت الأم: لا.



دهشت الطفلتان: ولماذا يا أمي؟!

- حتى تختبر مروءته.

-كيف يا أمي؟ صاحت الطفلتان في صوت واحد.

-كانت الحرب على أشدها بين قبيلتيّ عبس وذيبان، فاشترطت عليه أن يصلح بينهما أولاً.

-وهل وافق يا أمي؟ قالت أسيل.

-نعم وافق ودفع ديات القتلى وحقن الدماء.

ـ ما هي الدية يا أمي؟ سألت نور.

ـ قالت الأم: الدية يابْنتي هي عقوبة مالية مقدّرة شرعًا عوضاً عن القصاص فتحادث العرب بأمرها وقالوا يا للمرأة إذا شاءت شريطة أن تشاء الخير.

ـ سألت أسيل: يساورني سؤال يا أمي ما الذي يدفع الحارث لبذل كل هذا العناء.

ـ سؤال جميل يابْنتي وإجابته: الظفر بالمرأة النجيبة العاقلة وبها تحل الجنة في كل بيت.

سرت البنتان من قصة والدتهما ووعدتهما أمهما بالمزيد من القصص.

****

القصة الثامنة

المسار الآمن

يغزو العالم فيروس متناه بالصغر لا يرى بالعين المجردة، الناس يموتون كل يوم، أنفاس البشر الذين قدر لهم الحياة تتسارع خوفاً وفزعاً، العلماء حول العالم لاهثون بحثاً عن لقاح ناجع لصون حياة البشرية، العالم يترقب مصيره، في هذه الأجواء جمع القدر يحي ومايكل ليكونا ضمن الفرق البحثية للتوصل للقاح يكبح جماح فيروس كوفيد المستجد 19، وتتولد بينهما الصداقة... المهمة شاقة والهدف مقدس ونبيل، كان العمل يطول لساعات في المعمل الذي يعملان به التابع لجامعة جون هوبكينز الأمريكية... المئات من الأبحاث والتجارب يومياً على لقاح يعتمد على تكنولوجيا الرنا الرسول استهلكت وقتاً واهتماماً لآلاف من الباحثين حول العالم من جنسيات شتى وأجناس مختلفة، فمايكل ذو البشرة السمراء من ولاية ألاباما الأمريكية أما يحي فمن تركيا وقد قدم إلى أمريكا في منحة دراسية.

أخيراً حصل الصديقان على إجازة يوم الأحد وهو الأمر عسير المنال في هذه الظروف الاستثنائية فخرجا سوياً لاحتساء القهوة التركية..

-إنني أشعر بمخاوف جمة يا يحي.. هكذا ابتدر مايكل صديقه يحي.



-ماذا يقلقك عزيزي مايكل؟ حتماً سنصل للقاح في النهاية كن مؤمناً بالله وبالعلم.

قال مايكل:

-لا يقلقني هذا بالعكس أثق أننا قاب قوسين أو أدنى من هذا، ولكن ما يقلقني ويقض مضجعي مرحلة ما بعد اللقاح.

رد يحي وكان دائماً سريع الاستنتاج:

-وأنا أشاركك المخاوف فنحن على أعتاب مرحلة التوزيع الغير العادل للقاح دول متقدمة تمتلك التكنولوجيا والعلم ودول على الضفة الأخرى من العالم أغلبها عربي مصيرها معقود ومعلق على عطايا الدول المتقدمة.

-أنت على حق يا عزيزي ولكن ليس هذا ما قصدت إني أخشى أمراً أكبر وأمضى.

التفت يحي إلى مايكل وقد أصابته الدهشة فاستنتاجاته لم تصل لعمق تفكير صديقه هذه المرة:

-ما هو هذا الأمر؟

قال مايكل:

-أفريقيا؟!!!

-ما بها؟ إنها الأقل في الإصابات على غير العادة. قال يحي.

- هذا غير صحيح فالترصد ليس على ما يرام بهذه الدول الأفريقية ومن فرط ما يصيبها من أوبئة لم تعد تكترث كثيراً.. إن ما يخيفني مكان

التجارب السريرية، فقد يصبح مسرحها أفريقيا يا عزيزي وهو مكان بلا ضوابط أخلاقية، ونظم سياسية لا تعبأ بصحة مواطنيها وقد تغض البصر عن ذلك بل وقد تعقد صفقات مشبوهة أيضاً.

-لكن للتجارب العلمية ضوابط أخلاقية لا حيود عنها ولا شقاق حولها يلتزم بها الغرب وهو ما يمنع هذه الاحتمالية. قال يحي.

- هذا على الورق وفي صفحات الكتب والمجلات لكن الواقع دائماً ما يحمل مفاجآت مذهلة تفارق الحقيقة فيها المبدأ وتغدو لغة المصالح تصدح بصوتٍ عالٍ لا يخشى محاسبة وما أسهل أن تعترف وقتها بأن ما حدث كان خطأ دون أن تخشى محاسبة أتدري يا يحي عن تجربة توسكيجي للزهري؟

-لا لم أسمع بها.

-هذه التجربة هي السبب في المعايير الأخلاقية التي نتحدث بها الآن. تعلم أن أصولي أفريقية وقد عشت في ولاية ألاباما الأمريكية وسمعت من أهلي حول هذه التجربة الشائكة ولو كان للعالم ضمير لبقيت تؤرقه. التجربة استغرقت أربعين عاماً بين عامي **1932** و **1972** حيث تم حشد ستمائة مزارعٍ فقيرٍ من مقاطعة ماكون في ولاية ألاباما. **399** منهم كانوا مصابين بالزهري قبل بداية الدراسة والباقي لم يصابوا بالمرض من قبل.... تصور أن يحشد كل هذا العدد من الفقراء لتجربة تجهز على حياتهم؟ أتدري ماذا كان المقابل للمشاركة في تجربة كهذه؟؟



-ماذا؟ قال يحي.

-وجبات غذائية ورعاية طبية وتأمين الدفن المجاني لمن يموت منهم... حد الكفاف من الحياة صار مطمعاً... حياة في منتهى البؤس للسود وهذا بأمريكا دفعتهم للمضي في التجربة وهل هناك فرق بين الحياة والموت لدى هؤلاء البؤساء التعساء؟ تصور يا صديقي.. امتنع الباحثون في الدراسة عن علاج المصابين بالزهري بالبنسلين الذي كان قد اكتشف عام **1947** وتركوهم يموتون... تصور أنّ فعلاً لا أخلاقياً كهذا يمكن أن يحدث في القرن العشرين.

- صدقت أخي مايكل إنها جريمة نكراء في حق البشرية يندى لها الجبين وتقشعر من هولها الأنفس... لكن مخاوفك الآن أثارت لدي مخاوف أخرى.

قال مايكل: ما هي؟

-ماذا لو تحول العالم بأسره لحقل تجارب لعدد من اللقاحات؟ لا تنس ضيق الوقت والعالم ينتظر... وقتها لن يصبح الخوف على بقعة واحدة من العالم هي أفريقيا بل يتناثر الخطر في كل مكان..

انصرف الصديقان في هدوء دون أن يشربا القهوة، وقد اتخذ كلٌّ منهما طريقاً لمنزله لكنّ أسئلتهما مضت معهما تسبق أقدامهما محاصرة ذهنيهما وقادحة لفكرهما في عناد. أترى البشرية في طريقها للأمان حقاً؟؟

القصة التاسعة

الأجفان الساهرة

-هنا بوابة التاريخ يا أسامة..

كانت هذه كلمات سيف لصديقه أسامة.. لقد تعرفا منذ شهور قليلة على موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) وتوطدت بينهما الصداقة على الرغم من أنهما لم يلتقيا وجهاً لوجه إلا منذ أيام عدة.. كان سيف بالسنة الأولى بكلية الآداب قسم تاريخ بجامعة القاهرة أما أسامة فكان لازال يخطو خطواته الأولى في عالم الكتابة عن التراث الأسلامي وبالرغم من كونه طبيباً ذا أصول مغربية غير أنه ولد وترعرع بفرنسا بعد هجرة والده ووالدته إليها، لكن ظلت حكايات أبيه عن التاريخ والآثار الإسلامية ترافقه وتلح عليه حتى قادته في النهاية إلى تلبية دعوة سيف لقضاء إجازته السنوية بصحبته لأول مرة في مصر، والتي صادفت يوم رؤية هلال رمضان..

بين رحاب السيدة زينب وحي الحسين يشق حي المغربلين طريقه الذي دلف منه لقلب التاريخ من أوسع أبوابه وتربع على أركان حكاياته وفي هذا



الحي نشأ سيف وكانت أجواء الحي التي يستنشق منها عبق التاريخ باعثة له على المضي قدماً لدراسة التاريخ والنهل منه بشكل أكاديمي..

راح يتجول أسامة مع سيف حاملاً حقيبته الصغيرة بعد وصوله تواً إلى القاهرة، وعيناه معلقتان على الطرقات وذهنه سابح بألوان البيوت العتيقة ومشربياتها على كلا الجانبين.

حتى حطت قدميهما على مقهى شعبي.. مقاعد متراصة في نظام متباعد وعلى صدر المقهى ممنوع التدخين وبداخل المقهى كانت مكتبة صغيرة بها كتب تاريخية وأدبية مع التنبيه على منع استعارتها وضرورة إعادتها لأماكنها مرتبة ونظيفة..

قال أسامة مندهشاً:

-غريب أمر هذا المقهى يا سيف... أعلم أن مصر مشهورة بالدخان هكذا شاهدت في التلفاز واليوم أجد مقهى يمنع التدخين ويحض على القراءة.

- المعلم حسونة صاحب المقهى الحالي شاب متعلم ورث المقهى عن أبيه وجده لكن لديه عزم على تطوير رسالة المقاهي من التسلية واللهو إلى المبادرة للأشياء النافعة كالكتب وتنفيذ الإجراءات الاحترازية الخاصة بالتباعد ومنع انتقال العدوى بين زواره...

استأنف سيف كلامه:

-أتدري أن هذا الحي منذ العهد الفاطمي ولازال قائماً، مرت عليه أزمنة وأزمنة وشاهد من تاريخ مصر الكثير. أتدري أني أعشق الطقوس الرمضانية فيه.

-حقاً فرق شاسع بين الصور والحقيقة لقد بدأت أغتبطك يا صديقي سيف.

-لمَ الغبطة؟ وسوف تسكن معي هنا طوال فترة إجازتك وأنت دائماً على الرحب والسعة في أي وقت أخاً وصديقاً.

-سمعت عن أخلاق المصريين وكرمهم الكثير من أبي.

- لا تتعجل الرحلة. سوف تلمسها هنا أكثر، هنا الأصالة والعراقة وأخلاق الناس الطيبين التي لا تتغير.

فجأة علا صوت التلفاز بأن دار الإفتاء قد أعلنت أن الغد هو أول أيام رمضان فتهللت وجوه الناس بالمقهى وتبادل الناس التهاني ووزع المعلم حسونة على رواد المقهى جميعاً عصيراً ما أن ارتشف منه أسامة رشفة حتى أعجبه.

-ما هذا؟

-هذا مشروب قمر الدين يا صديقي. هذا يرجع إلى عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

اندهش أسامة قائلاً:

-كم عمر هذا المشروب إذاً؟





ـ فمازحه سيف: ربما يتعدى عمر فرنسا ذاتها.

وسط هذه الفرحة والضجة كان صوت رخيم لا يخلو من عذوبة يخترق المكان:

ـكل سنة وأنتم طيبون تعود عليكم الأيام بخير.

فنظر أسامة ناحية صاحبة الصوت فإذا بسيدة خمسينية العمر تجلس على كرسي متحرك تحوطها بضاعة قليلة من حلوى وخبز بين جنبات دكان خشبي صغير متهالك.

ـ قال سيف: هذه الست ملك مسيحية من سكان الحي القدامى، تحب شهر رمضان وتنتظره كل عام كأطفال الحي تماماً وتشاركهم الفرحة..

بدأ صوت أذان العشاء يطوق أجواء الحي بسحر كلماته والهلال يزين عنان السماء في مشهد يخطف الأبصار والأفئدة فقال سيف لأسامة:

-هلم بنا يا صديقي اليوم أول صلاة التراويح.

خرج أسامة وسيف من المقهى، فإذا بالست ملك تساعد الأطفال في عمل زينة رمضان فتقص الكرتون المقوى والملون بألوان كثيرة على شكل هلال ونجمة، ثم تثقبها وتصلها بالخيط حتى يتسنى للأطفال تعليقها. فضحك سيف حينما لمس اندهاش أسامة الذي لا يتوقف ثم قال:

-لا تعجب هنا مصر لا تجد فرق بين قبطي ومسلم... إنها عبقرية المكان وروعة التاريخ تذيبان كل الفروق وتجمع الناس على قلب واحد.

-لله درك يا صديقي كأنك ترسم لوحة عظيمة بفرشاة من عبق التاريخ وسحر الحاضر.

دخل سيف وأسامة إلى مسجد تعلوه الزخارف الإسلامية الزيتية الجميلة وبدأ سيف يقص على صديقه قصة هذا المسجد:

-هذه زاوية بناها الأمير العثماني عبد الرحمن كتخدا والكتخدا لقب يعني مساعد أو نائب الوالي أو الحاكم. إنها سنة سار عليها أمراء مصر وسلاطينها في كافة العصور من بناء المساجد وتجديدها وتحويلها لساحة لدراسة العلم الديني.

-رائع يا سيف... لكن ما سر اسم المغربلين؟

-قديماً كانت الأحياء تعرف بالحرف والمهن التي يشتهر بها ساكنوها وهنا كانت حرفة تجارة الحبوب وما يتبعها من الغربلة حيث يتم تصفيتها من الشوائب.

صلى الصديقان العشاء والتراويح حتى لم يعد يفصلهما عن موعد صلاة الفجر سوى ساعتين، فاصطحب سيف أسامة إلى منزله لتناول السحور وكان والد سيف ووالدته شديدا الاحتفاء بضيفهما الجديد فأعدت والدة سيف أطباقاً من الفول والبيض والجبن ومن الحلوى الكنافة والقطايف.

-أكل والدتي أم سيف لا يعلى عليه أظنك يا أسامة ستكون مدمناً له عما قريب.



ضحكت أم سيف وراح الجميع يتناولون الطعام الشهي بالخبز الساخن الذي تسويه أم سيف في المنزل متفاخرة بأنها من السيدات القلائل بالحي اللاتي لديهن اكتفاء ذاتي منزلي.

وما أن لمست يدا أسامة القطايف حتى أنشد سيف:

-قطائف قد حشيت باللوز والسكر الماذي حشو الموز. سررت لما وقعت في حوزتي سرور عباس بقرب فوز.

-ألا تتوقف يا سيف عن التاريخ رفقاً بصديقك فهو ضيفنا. قالت أم سيف.

_ قال أسامة: أحب قصص سيف جداً، إنه منهل تاريخي لا ينضب... من هو صاحب الأبيات التي قلتها أم أنت واضعها؟ ومن هو عباس ومن هي فوز؟

-هو الشاعر العباسي ابن الرومي الذي فاق حبه للقطايف كل حد أما عباس فهو العباس بن الأحنف شاعر من اليمامة بنجد واشتهر بحبه لفتاة أطلق عليها فوز وأحب أخرى اسمها ظلوم.

-إذاً وقد أعجبت قصصك ضيفنا يا سيف فماذا عن الكنافة؟! قال أبيه ضاحكاً.

-أما الكنافة فقيل في نشأتها قصص كثيرة أشهرها أن صنعت للخليفة معاوية بن أبي سفيان حتى لا يشعر بالجوع أثناء الصوم حتى عرفت بكنافة معاوية وقد كتب جلال الدين السيوطي كتاباً حمل اسم "منهل اللطائف في الكنافة والقطايف".

شكر أسامة صديقه على معلوماته الثرية، وانتهى الجميع من أكل الحلوى معربين عن إعجابهم بصنيع أم سيف المتقن.

-لم تحدثنا يا أسامة عن الأكلات المغربية في رمضان قالت أم سيف.

-إن رمضان هو مصنع أمي للأكلات التراثية المغربية المحببة فتصنع الكسكس المغربي وهو طحين من الشعير أو القمح يضاف إليه الخضروات واللحوم بأنواعها، والحريرة وهي من الحنطة والذرة ودقيق الشعير أما الحلوى فتصنع أمي الشباكية المغربية، وهي عجينة مخلوطة بالزيت والزبدة مع اللوز أو الجوز وتوضع في العسل وترش بماء الزهر واليانسون.

-طعام شهي بارك الله لك في أمك وصنيعها يا بني قالت أم سيف.

أحس أسامة مع الوقت بالراحة الشديدة وسط هذه الأجواء الروحانية المفعمة بالحب والمودة وسط الحي التاريخي العتيق وحفاوة صديقه سيف وبساطة وطيبة أسرته.

كانت الأيام تمضي متسارعة وأسامة يود لو يوقف عجلة الوقت لكن الأيام لا تستمر على وتيرة واحدة والتقلب من شيمها فعكر صفوها استمرار جائحة كوفيد 19 في مصر للعام الثاني على التوالي. وكانت الموجة الثالثة شديدة القسوة على أهل الحي المتخم بالاجتماعيات وبدأ الشهداء يتساقطون بين الفينة والفينة.



كان سيف يشعر أن الوقت يداهم أسامة وأن عليه الانتباه أن إجازته توشك أن تنتهي فقال له:

-صديقي أحببت عشرتك وتواجدك معنا ولكني ألحظ أنك قد نسيت موعد عودتك.

-أعلم وقد أتاني خطاب بالبريد الإلكتروني بضرورة العودة وإلا تعرضت للفصل ولكني لن أعود الآن.

_ دهش سيف: لماذا؟

-لدي واجب أدبي هنا نحو أهل هذا الحي الطيبين.

-أي واجب؟

-لقد أسعدوني وقت الرخاء وحانت ساعة رد الجميل في أن أسهر على رعايتهم في وقت شدتهم.

-وعملك في حاجة لك أيضاً.

-هنا أيضاً عملي فأنا طبيب وهنا وطني الثاني وهو أكثر حاجة لخدماتي.

انخرط أسامة ضمن الفرق الطبية التي تعمل في العزل وبدأ يشعر أن السعادة رفيقة إقامته بين المرضى من أهل الحي وبين عبق الماضي الذي يطبع بصماته على كل ركن وكل حائط به.

****

القصة العاشرة

أنا أصدق العلم

لمَ نظن أن الحياة في ذاتها هي التحدي؟! الحياة رحلة ممتعة بالرغم من أننا نحيا جميعاً في دروبها رغم أنوفنا لنصل في نهايتها إلى أن التحدي الحقيقي فيها هو كيف نسلكها ونعيشها وأن خياراتنا هي سر شقائنا؟

كانت هند تنعم بحياة هادئة مع زوجها باسم في بيتهما الريفي في حلب، فهي تعمل مدرسة بمدرسة ابتدائية، أما باسم فكان مهندساً مدنياً بإحدى الشركات وقد أثمر زواجهما عن طفلة جميلة كانت محور اهتمامهما.

توالت السنون وهند على روتين حياتها اليومي تنتهي من العمل لتصلي جماعة في المسجد صلاتيّ المغرب والعشاء، وتستمع لدروس دينية شبه يومية تلقيها الحاجة اعتدال، إحدى الفقيهات في الحي الذي تقطنه كما كانت هند تفرض قيوداً صارمة في البيت فتمنع زوجها وابنتها من مشاهدة المسلسلات في التلفاز، وأن يكون صوت واحد يملأ أرجاء البيت تعتبره بركة البيت هو دروس الشيخ الداعية محمد راتب النابلسي.

مع ظروف الحرب وما خلفته من دمار ألقى بظلاله على كل مناحي الحياة بسوريا أوصدت الشركة التي يعمل بها باسم أبوابها وأصبح بلا عمل وصار مورد ماليّ واحد هو دخل الزوجة لا يكفي لتغطية نفقات المعيشة والغلاء،



فقرر الزوج أن يبحث عن فرصة عمل بإحدى دول الخليج وبعد جهد وجد الفرصة وسافر مع دعوات الزوجة بصلاح الحال. وظلت الزوجة ترعى الابنة وتحفظ غيبة الزوج ولأول مرة في حياتها قررت أن ترتدي النقاب عن اقتناع بكونه مكرمة وفضيلة.

طالت غيبة الزوج وهند لا تكف عن مراسلته في كل لحظة على الواتس آب وعبر الهاتف وبالطبع كان الفيس بوك لديها محرماً فكان يرد أحياناً بشكل مقتضب وقد يغلق هاتفه لأسابيع.

بدأت الشكوك تساور هند وبدأت الريبة تتسلل لنفسها لكنها راحت تلتمس العذر لزوجها، فمشقة العمل بدول الخليج لا تخفى على أحد واستمرار العمل لساعات متأخرة يثقل على النفس ويورثها التراخي في الاهتمام بالأهل.

مر عامان والحال على نفس الوتيرة حتى قدم باسم في إجازة فسرت هند بذلك أيما سرور وراحت ترحب بزوجها الغائب، لكنها بدأت تلاحظ فتوراً غريباً في رغبته الحميمية نحوها. لم تبالِ للأمر في البداية..

كانت الموجة الأولى لكوفيد 19 قد طالت سوريا فيما طالت من أقطار العالم وأصيب الزوج بأعراضها وحال ذلك بطبيعة الحال دون عودته مجدداً لمكان عمله بالخليج ولم تتوقف رسائل الواتس آب على هاتفه مما دفع

الفضول هند لفتح الهاتف لعلها جهة عمله وقد استبطأت عودته فترد عليهم بالتمهل عليه لظروف مرضه.

لكن ما وجدته عند فتح الهاتف أصابها بالذهول وغرقت في نوبة هيستيرية من البكاء؛ فرسائل حب وعشق مرسلة لزوجها، فتمالكت أعصابها حتى استقرت أحوال باسم لتواجهه بما وجدته وكان ما كان

-من السيدة التي ترسل لك كل هذه الرسائل على الواتس؟

-من سمح لك بفتح هاتفي والتلصص والتفتيش في رسائلي؟

-ليس هذا من شيمي وأنت تعلم، ولكني ظننتها رسائل من جهة عملك فخشيت أن يفصلوك لعدم معرفتهم أسباب عدم عودتك.

أجب على سؤالي بوضوح.

أجاب باسم في فتور:

-لا شأن لك.

-أجب

-إنها زوجتي هل استرحتِ الآن.

-تتزوج عليّ بعد كل هذه العشرة الطويلة!

-مارست حقي في التعدد هل تعترضين على شرع الله وأنتِ المنقبة المتدينة؟

-دون إذني ومشورتي؟

-وهل في الشرع إذن لذلك؟

-بالطبع نعم، ولكنك ارتكنت لشرعك الأناني.



لم تشعر هند إلا وصفعة باسم على وجهها، إنها المرة الأولى التي يفعل فيها ذلك طوال رحلة زواجهما.. حزنت هند على سنوات العمر التي ضاعت وكرامتها التي أهدرت فطلبت الطلاق وحصلت عليه، ثم سافرت لأختها مي بالإمارات وهناك تلقت دعوة غيرت مسار حياتها فالدعوة لأمسية ثقافية ودينية لإحياء الذكرى الأولى للمفكر الشهير محمد شحرور كانت هند الوحيدة المنقبة وسط الحضور، وكانت محاور الأمسية عن التجديد في الفكر الإسلامي وأفكار شحرور عن أخطاء العلماء القدامي في فهم الكثير من المصطلحات ومنها الحجاب وأن الحجاب ليس ركناً من الإسلام.. جذبت كلمات المتحدثين عن شحرور وأفكاره عقل هند، فقد صادفت هوى لديها وبدأت تستمع إلى حلقاته المتلفزة وتقرأ مقالاته العديدة، وبعدها خلعت الحجاب والنقاب وصارت من أشد المدافعين عن فكر شحرور وآرائه، وما كان منبوذاً لديها أصبح لا جريرة فيه ومنها موقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك، فكانت تنفق وقتاً طويلاً عليه لمتابعة أفكار دعاة التحرر النسائي من ربقة الأفكار التراثية البائدة والقديمة والتي لم تعد صالحة لهذا الزمان..

بعد مضي وقت ليس بالطويل وجدت هند رسائل إعجاب لا تتوقف من شاب مصري يدعى مصطفى يبدي إعجابه بصورها على الفيس بوك، فلما فتحت صفحته الشخصية وجدته طبيباً مصرياً من الصعيد في الخامسة والثلاثين من عمره فخامرها شعور لمَ لا تستجيب لرسائله؟؟ راحت تطرد

هذا الخاطر فالفيس مليء بشباب يلهو ويلعب بعقول وقلوب النساء، وهي في مكانة ومنزلة لا تريد أن تهتز في أعين عائلتها وابنتها والدخول في مثل هذه المغامرة، مقامرة لا تخلو من خطورة.. وتتوالى رسائل مصطفى وهي تتجاهله لكن تتابع ما يكتب على صفحته في صمت فوجدته شاباً يتضح من كتاباته كونه مثقفاً ولبقاً وموضع احترام أصدقائه، فبدأ حديث النفس يراودها: لمَ لا؟! لمَ لا تمنحيه الفرصة لعله جاد في مشاعره، ثم تعود لتقول لكن هناك فارق سني لا يمكن تجاوزه فهي في الخامسة والأربعين..

لكن مع إلحاح مصطفى كتبت له:

عزيزي مصطفى أقدر مشاعرك وحبك ولكن لا يمكن الحكم على المشاعر بالصور، فربما كنت على الحقيقة خلاف ما تظن.

فكان رده مدهشاً لها:

ومن قال أنني لم أرَكِ؟

-تفصل بيننا أميال طويلة وما من سبيل للرؤية أنا بالإمارات وأنت بمصر.

-لقد رأيتك بقلبي وأحببتك بكل جوارحي وأنا أصدق أمرين في حياتي.

-ما هما؟

-العلم والقلب.

أعجبت هند بطريقته بالكلام ومنطقه الذي لا يقاوم. وردت عليه محاولة اختبار حبه:



-لدي لك عروس مناسبة لك أجمل ومناسبة لعمرك أنا أكبر منك صدقني ما تراه اليوم سيزول غداً وستندم.

-لا أريد سواكِ ولو صرتِ بالتسعين عاماً سأظل أحبك، وسأكون في محراب حبك وفياً لك ونحن على قدر كبير من الثقافة ولا ينبغي أن يكون العمر عائقاً في علاقتنا.

ابتسمت هند وحمدت الله أن الكتابة تخفي خفقان قلبها وهيامها الذي بدأ يشتعل وأحست بإدمان الحديث معه إلى أن طلب أن يشاهدها على الكاميرا فقاومت بشدة في البداية لكن إلحاحه الشديد غلبها.

فبدأ قلبها يتعلق بمصطفى ومظهره المرتب وشبابه وخطر لها لمَ لا تتزوجه وتثأر لكرامتها المجروحة؟ فهي لا زالت جميلة ويبحث عنها الشباب كما أنها من ناحية أخرى وسيلة لاختبار صدق مصطفى وخشية الانزلاق معه في علاقة لا يحمد عقباها؛ فالزواج هو خير سبيل لجمح العواطف المتمردة وتقييدها في إطار يظلله الشرع.

عرضت علية فكرة الزواج بشكل غير مباشر فكتبت له:

-لقد نجحت في أن تقنعني أن الفارق العمري لا شأن له في الزواج.. إنني معجبة بقدرتك على إقناعي.

-سرني ذلك يا مولاتي.

-إذاً متى تستطيع القدوم إلى الإمارات لإتمام إجراءات الزواج؟

-من الغد إن أردتِ

فرحت هند بالسرعة التي أبداها مصطفى في مسألة الارتباط والحماس الذي أظهره.

لكن سرعان ما رد مصطفى:

-لكن لدي شرط.

-ما هو شرطك؟

-ألا أتحمل تكاليف في هذه الزيجة، ما عدا تذاكر السفر وأن يكون محل إقامتنا في مصر بسوهاج حيث أقطن.

تهللت هند

-بكل سرور ثم أردفت ولكن لدي أنا أيضاً شرط.

_ قال مصطفى: ما هو؟

_ قالت هند: أن تكون العصمة بيدي.

كان شرط هند من وحي اللحظة فهي مقدمة على حياة مجهولة ومع شخص لا تعرفه إلا عبر رسائل كتابية وفيديو ولابد من الحرص.

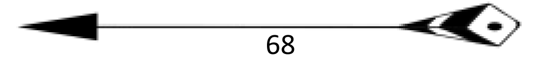
_ قال مصطفى: موافق.

-وأن يكون زواجنا محدداً بمدة.

-كيف؟

-ستة أشهر نختبر حياتنا معاً في الزواج فإذا اخترت الفراق فيكون لي ذلك دون ممانعة منك.

-لك ذلك.





تم عقد القران وسافرت هند مع زوجها الجديد إلى مصر وكانت شديدة الخوف من ليلة الزفاف مع أنها الزيجة الثانية إلا أن قلبها كان مرتعداً لكن لمسات مصطفى الحانية هدأت من روعها، ومع توالي الأيام كان مصطفى يقنعها بكل ما كان من المحال لها أن تقدم عليه، فالضرب على المؤخرة والإتيان من الدبر أصبحا القاعدة في علاقتهما، والفرج الاستثناء والنادر وكانت حجته دائماً أنهما يعززان من إفراز الأندورفين والشعور بالسعادة، وبالتدريج أصبحت تجثو على قدميها من أجل الجنس الفموي الذي زينه لها بأنه لا يحمل أي ضرر، بل مصدر للبروتين والسكريات المفيدة للجسم!! ولا يخلو اللقاء الحميمي في العديد من المرات من الخمر والذي يقوي القلب كما كان يقول لها.. كان شذوذه وساديته مسائل واضحة وضوح الشمس، ولكنه لم يكن عنيفاً في شهواته، بل متمهلاً للغاية وشديد الإلحاح، كما كان يملك قدرة على إقناعها دائماً بالعلم وإذا جادلته بما لازال عالقاً في ذهنها من الدين كان يجيب: أنا أصدق العلم والعلم لا يدعو إلى ما يضر البشر اسمعي عني هذا القول واحفظيه..

اعتادت هند الأمر، بل أصبحت مدمنة عليه لكنّ أمرين جدا جعلاها تهجر هذه الحياة وتطلق نفسها من مصطفى، الأمر الأول كان صعوبة الحياة في الصعيد، والثاني هو توسلات باسم زوجها السابق بالعودة له، ولابنتهما وأنه طلق الزوجة الأخرى وهجرانها له قد علمه الكثير من الدروس.. لقد انتقمت لكبريائها إذاً.

كان مصطفى عند وعده وبكل بساطة طلقها، وهو ما أدهشها لكنها لم تعر الأمر انتباهاً، وغادرت إلى سوريا وعادت إلى عصمة باسم من جديد..

لقد تغير باسم كثيراً وعاد لسيرته الأولى لا يغضبها ويحرص على إرضائها ولكن تأتيها أحلام لا تفارقها بالحنين للعلاقة الحميمية مع مصطفى، مما أشعرها بأنها تخون زوجها ولو بالعقل... حاولت أن تصرف هذه الرؤى وتشغل حياتها بأمور أخرى فعادت لمشاهدة شحرور مرة أخرى ولكن ليس بنفس الحماس السابق، فقررت أن تختلق مشاحنات مع زوجها وتطلب الطلاق مرة أخرى وتعود لمصطفى، ولكن هذه المرة بلبنان ولستة أشهر أخرى!!

لم يكن لدى مصطفى أي مانع للعودة على أن تتحمل هي تكاليف الإقامة في لبنان فوافقت ودبرت التكاليف من إرث أبيها... وبدأت تعد العدة للطلاق وتغضب لأسباب تافهة.

كانت الموجة الثانية لكوفيد وأحست هند بجاثوم ثقيل على صدرها إنه الفيروس اللعين ونقلت للعناية المركزة ووضعت على أجهزة التنفس الصناعي، وفي هذه اللحظات بدأت تشعر أن الموت أقرب للنفس من الحياة وأن زخرف الحياة ومتاعها الحرام وإن اكتسى بالحلال فبذرته من حرام مهما نمت وتفرعت وأزهرت وأصبحت تسر الناظرين، فتوجهت بالدعاء إلى الله أن يمنحها النجاة وأن تعود لطريقه مرة أخرى.



فأفاقت في اليوم الثاني وقد زالت الغمة وعادت لزوجها باسم وابنتها وارتدت الحجاب من جديد، وأصبح مقصدها اليومي صلاة الجماعة والدروس الدينية.

****

القصة الحادية عشر

قصاصات العمر

تحية فتاة ذات جمال كلاسيكي آخاذ ممشوقة القوام تمشي الهوينا وعيناها الساحرتان كاللؤلؤ المكنون، تجيد استعمالهما في أسر القلوب ودغدغة المشاعر ومتابعة كل من يرمقها في دلال لا يخلو من علو وكبرياء... كانت حديث كلية التربية دوماً ومع أنها ترمق الاهتمام بها وتعشق أحاديث الناس عنها لكنها لا تتطلع إلى مصادقة أحدٍ من الشبان المتطلعين لصداقتها.

تعتبر تحية أن صديقتها منار هي الكنز الذي عثرت عليه بعد طول انتظار فهي مستودع أسرارها ومناط ثقتها، فقد ابتليت تحية بالتفكك الأسري منذ طفولتها، فأبوها مات بالمهد وتزوجت أمها المرأة الجميلة من ابن عم زوجها الراحل بعد فترة وجيزة.

عاشت تحية كابنة وحيدة في جو من الدعة والهدوء الذي يبعث على الكآبة.

لا تذكر تحية لزوج أمها أي لحظات من القسوة معها بل كان رجلاً مستكيناً منطوياً لا يحب الاختلاط ولا الزيارات ففرض على البيت طباعه وغرقت تحية وأمها في بحر العزلة الذي لا مرسى لشطآنه.



كانت المرحلة الجامعة انطلاقة تحية على العالم الخارجي ورؤيتها للبشر على اختلاف طبائعهم، لكنها لم تتسلح بما يجعلها ترى ما تخفيه النفوس خلف ابتسامات زائفة.. عزلتها جعلتها تخشى من كل شيء ولا تحب أن تختبر شيئاً جديداً لم تألفه.

تقدم الكثير من الشبان لخطبتها عن طريق أم سامح جارة والدتها وكانت الأخيرة قد أوصتها بجلب عريس لابنتها الوحيدة فسترة الابنة غاية الحياة ومنتهاها كما كانت تقول الأم دائماً لابنتها وتنصحها.

كانت تحية عنيدة ورثت هذه الخصلة عن أبيها الراحل، فكانت دائماً ترفض دون سبب مقنع فالخوف يخالط نفسها ويبعثها على الركون للحاضر خشية امتطاط جواد المستقبل وما أقسى كبواته والأم لا تريد إرغامها على شيء حتى لا تعود عليها باللوم إن أخفقت في حياة ليس لها فيها اختيار؛ فجعلت القرار بيدها وكان زوج الأم سلبياً لا يعنيه هذا الأمر ولا يريد أن يرهق تفكيره فيه.

كانت الأم تخشى تأثير منار الطاغي على ابنتها فبادرت بتحذيرها:

-يابْنتي النفوس كالعواصف تتقلب وتتحول كتقلبها ولا يأمن أحد مكرها.

-يا أمي عن ماذا تتحدثين؟

-أقصد منار.. لا تستمعي لها فيما يضر مستقبلك.. أنت اليوم جميلة يخطب ودك شباب كالورود المشرقة والعمر يمضي وأخشى أن يغادرك دون أن تدري وتحتسبي وتجدي نفسك وحيدة بلا أبناء وبلا أسرة.

-يا أمي إنك لا تعرفين منار إنها تحبني وخشيتها علي من خشيتها على نفسها لقد قطعت على نفسها عهداً أن نتزوج سوياً باختيارنا، فالحب الحقيقي ولو على عيشة من كفاف أقوى وأمضى، فالحب يصمد ويعيش وينمو أما الزواج المشيد على المال والمنصب فأمور زائلة تتواضع وتتلاشى بجانب الحب الصادق المفعم بالمشاعر والأحاسيس الصادقة.

-يا بنيتي هذا كلام سفسطائي لقد خبرت الحياة ومررت بتجارب كثيرة والحب دوماً يأتي بعد الزواج، وهناك قلوب يعتصرها الحسد لا تريد الخير لغيرها وأخشى ما أخشى أن تكوني ضحية لقلب من هذه القلوب المريضة تحيدك عن الصواب.

-لا يا أمي منار تحب لي الخير.

-لقد أخذت على نفسي عهداً أن أتركك لاختياراتك وألا أفرض عليكِ نصحاً أو طريقاً بعينه.

كانت الأم على أعتاب الستين من العمر لا تفتأ تذكر ابنتها بالعمر وهو يمضي وقد بلغت تحية الخامسة والثلاثين وندر من يتقدم لخطبتها بعدما اشتهر في الحي عزوفها عن الزواج واستيلاء نبرة الاستعلاء عليها.

ولمّا لم تجد الأم أملاً في إقناع ابنتها بالزواج وقد تقدم العمر حاولت جاهدة أن تقنعها بالعمل كمدرسة في المدارس الخاصة أو رياض الأطفال المتاخمة للمنزل أو المعاودة لتدريباتها الرياضية بالنادي، فرفضت تحية بإيعاز من منار وبقيت قابعة في المنزل لا تبرحه وتقضي وقتها في اتصالات



لا تنتهي مع صديقتها وفي تمضية الوقت على مواقع التواصل الاجتماعي فقالت الأم في حسرة:

-ما أراكِ يابْنتي إلا قد تحولتِ لتمثال شمعي هش لا يملك من أمره شيئاً وقد يغيبني الموت في أية لحظة وأنا قلقة عليك.

وكأن الأم على موعد مع القدر فجائحة كوفيد **19** تطل بأنيابها لتقع الأم وزوجها في براثنها ويرحلان في سويعات وتحية تبكي لقد جاءت اللحظة التي لم تمرق قط بحسبانها.

أصبحت تحية لأول مرة وحيدة في الحياة لا تجد من يؤنسها بين جدران هذا البيت الكبير..

حاولت الاتصال مراراً بمنار دون إجابة منها وقد عجبت من أنها لم تأتِ لتعزيتها فذهبت بها الظنون كل مذهب من أن مكروه قد أصاب صديقة العمر وآخر ملاذ لها بالحياة.

فسارعت إلى البيت الذي تقطن به منار تسأل عنها فوجدت والدتها تفتح الباب، فبادرتها الأم قائلة:

-مرحباً بك يا تحية.. خالص عزائي لك يابْنتي على مصابك الفادح والبقية في حياتك، إني محرجة منك كان بودي أن أحضر مع منار لتعزيتك لكن صديقتك المتهورة وضعتنا في مأزق كعادتها.

-ما بها لقد شغلتني أحاول الاتصال عليها دون مجيب؟! .

-لقد تزوجت منار يابْنتي من الأستاذ إحسان جارنا.

دهشت تحية

-ماذا؟!

-نفس دهشتي يابْنتي أنا وأبوها قرار بين ليلة وضحاها. أسأل الله أن يهديها إلى سواء السبيل وعقبالك يابْنتي.

انطلقت تحية وهي تكبح دموعها لرؤية صديقتها في عنوان بيت الزوجية الجديد، ففتح لها الزوج إحسان ولم تكن تعرفه رجلاً في الستين من عمره لم تفلح الصبغة السوداء اللامعة بشعره في محو علامات رسمها الدهر على وجهه.

فقالت مندهشة وقد ظنته والد العريس:

-مرحباً يا عم.

فظهر الغيظ على وجه الرجل الذي هم أن يسألها لماذا تطرق الباب في هذا الوقت المتأخر؟! لكن قطع سؤاله إسراع منار للقاء صديقتها تحية وقد احتضنتها بقوة، ثم جلستا واختفى إحسان بغرفته.

قالت تحية في عجب وقد فهمت أن هذا هو الزوج وليس والده:

-أهذا هو الحب الذي انتظرناه سوياً يا منار وقضيت عمري إلى جانبك نتحدث عنه؟!.

ضحكت منار:



-كم أنتِ ساذجة يا صديقتي هل أنتظر حتى أموت بحثاً عن الحب؟! إذا أتى الحب فمرحباً وإذا لم يأتِ نصنعه، وراحت تضحك كالأفعى، ثم مالت على أذن صديقتها وقالت بصوت خافت: إحسان مقتدر إنه شركة أموال تمشي على الأرض، هل أضيعه من يدي وقد فارقته زوجته العجوز منذ بضعة أشهر؟!.

-وهذا ما شغلك عن تعزيتي في أهلي؟

-يا حبيبتي تعلمين الجائحة وظروف الحظر. لعنة الله عليها.

-لكن الحظر لم يمنعك من الزواج.

-الحي أولى من الميت يا حبيتي وبالطبع لن تكرهي لي الخير وعلى العموم خالص عزائي لك في أسرتك.

-لا أصدق أذنيّ هل أنت منار صديقتي؟ لقد صدقت أمي.

-أنا منار الواقعية يا صديقتي الحبيبة وهذه هي الحياة على حقيقتها.

خرجت تحية من بيت صديقتها لا تدري إلى أين تذهب؟! فإذا بقدميها تحملاها إلى قبر أمها لتبكي بحرقة وتطلب رضاها.

تمر السنوات سراعاً وتجد منار بالمصادفة على صفحة تحية على الفيس بوك أنها قد أصبحت من الفائزات في بطولة العالم لألعاب القوى فتملكها الحقد والحسد من أن صديقة الماضي قد استعادت توازنها، فأرسلت رسالة لها لتهنئتها لتجد إجابة تحية عليها هي الحظر.

القصة الثانية عشر

العودة

يقضي الشيخ عدنان وقته في داره بالقدس يتأمل جدرانه العتيقة التي على قدمها تحتضن ذكريات الأحبة... على طول الجدران وعرضها صور معلقة تغزل في كبرياء ملاحم كفاح وقصص صمود وتحدٍ تكللت أخيراً بالنصر. تبدأ الصور بالشيخ أحمد الحسيني عميد العائلة وباني هذا البيت منذ أربعة عقود من الزمان وله سجل حافل في مقاومة الحملة الفرنسية على عكا وتتوسط الصور صورة الشهيد مصطفى والد الشيخ عدنان الذي قتلته العصابات الصهيونية في دير ياسين عام **1948** وتنتهي الصور بصورة لحفيده محمد الذي نفاه الصهاينة إلى خارج فلسطين.. لقد قضى عدنان ردحاً من الدهر يناجي صورة محمد ويبثها أحزانه ولشد ما كانت سعادته مع تحرير الأراضي الفلسطينين وعودة محمد من المنفى.

أخيراً وصل محمد دار جده ليستقبله الجد المكلوم بالأحضان قائلاً:

_طالت غيبتك يا بني الحمد لله أن أطال الله بعمري لأشهد تحرير الأرض وعودتك وعودة كل الفلسطينين الشرفاء لديارهم مرة أخرى.

-كأني في حلم يا جدي.. طوال الرحلة وأنا أتذكر كل شبر في هذه الأرض المباركة وأتوق لرؤيته ولرؤياكم.



ولكن يراودني السؤال كيف تحقق كل هذا؟

-تعال وأخبرني ماذا علمت من أمرنا؟

- على طول الطريق وأنا بالسيارة في طريقي لدارنا صور لمرشحين للرئاسة الفلسطينية!! ومرشحين لانتخابات مجلس نيابي جديد.. ومرشحات مجلس أعلى للمرأة لقد شاهدت صورة ملامحها تقترب من ملامح غفران ابنة عمي من ضمن المرشحات. كيف تحقق كل هذا في هذا الوقت القصير من زوال الاحتلال؟ فالأمم الأخرى تستغرق عقوداً لتحقق واحداً من هذه الإنجازات.

-لذة النصر يا ولدي ونشوته وحماس كل الفلسطينين بعد زوال الاحتلال لتعود فلسطين قبلة العرب ونبراساً لحضارتهم ورقيهم، اليوم يتنفس كل فلسطيني الحرية ويتملكه الأمل.

-جميعنا في أوروبا سمعنا عن تحرير فلسطين من وكالات الأنباء لكن تشيع قصص كثيرة تتناقلها الأقلام دون سند يا جدي ويتملكني الفضول أن أعرف من داخل فلسطين القصة كاملة ماذا حدث؟! وكيف حدث؟!

-لا يملك أحد يا بني أن يمنحك الصورة كاملة فلدي كل فصيل فلسطيني جزء من الصورة ربما يجلس الجميع يوماً ليقصوه على الناس حتى يكون درساً للتاريخ في الصلابة والإباء والوحدة ولكن أستطيع أن أقول ما تحقق كان معجزة بكل المقاييس، جسّدها نضال وتضافر كافة القوى السياسية والوطنية والدينية في فلسطين، لقد نبذوا الفرقة واجتمعوا على قلب واحد واتفقوا على ألّا يختلفوا، وهذا هو الأهم والكفيل بتحقيق الأهداف المنشودة.

تحرك الجميع صوب المسجد الأقصى بعدما عزم الصهاينة على هدمه، ونشروا متطرفيهم لحصار المسجد، ومنع الفلسطينين من الوصول إليه.

فانتفض الفلسطينيون عن بكرة أبيهم ولبوا نداء الشيخ منصور مفتي القدس، وتحركوا من كل حدب وصوب نحو القدس وألقى الله في قلوب الصهاينة الرعب ولاذوا بالفرار، فحرر الأبطال المسجد الأقصى وأصبح في قبضتهم وأطمع هذا النصر طائفة من الفلسطينين لحصار مقر الحكومة الإسرائيلية لأسابيع بشكل مستمر وعلى الرغم من إفراط الصهاينة في استخدام القوة وسقوط العديد من الشهداء والجرحى من الفلسطينين لكن ذلك لم يفت في عضد الفلسطينين والذين تكاثرت أعدادهم بشدة فقد أغلق الصناع والتجار أعمالهم وافترشوا الساحة المحيطة بمقر الحكومة الصهيونية، ثم حانت ساحة الحسم مع نجاح بعض الشباب الفلسطينين في اقتحام بوابة المقر، ودلفوا إلى الداخل ففر الحرس الصهاينة الجبناء كعادتهم وتركوا المقر وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي في اجتماع مع وزير الدفاع والداخلية وعلى مشارف إعلان حالة الطوارئ في البلاد ليقعوا جميعاً في قبضة الفلسطينين، وبعدها وقعت كل أنظمة الدولة الإسرائيلية التابعة في لحظة.

لم نتوقع يا بني هشاشة هذه الدولة المزعومة الجاثمة على صدورنا لسنوات عدة وأذن الله أن تنتهي في لحظات ويشفي صدور قوم مؤمنين.



-لكن سمعت يا جدي وأنا في أوروبا أن رئيس وزراء إسرائيل حاييم شارون لم يبدِ أي مقاومة، وأنه ساعد الفلسطينين في إمدادهم بمعلومات كثيرة عن الأجهزة الأمنية في إسرائيل، فيما عرض وزير الداخلية والدفاع الإسرائيليين تزويد الفلسطينين بكل قوائم العملاء المتعاونين معهم مقابل الإبقاء على حياتهم وهو ما عجل بالسقوط المدوي.

-لم أكن متواجداً يا بني وقت الحصار طوال الوقت لكن أخوك يحي يعلم أكثر مني حول هذه الاستجوابات ونتائجها.

-أين هو يا جدي؟ كم أشتاق إليه لعنة الله على هذا الاحتلال الذي وضعني في المنفى كل هذه السنوات؟ تذكر يا جدي.

-كانت أيام عصيبة يا بني وحمداً لله على سلامتك وعودتك لدولة فلسطين الحرة في عاصمتها القدس.

ثم أردف الجد: يحي الآن ناشط سياسي بارز ومشغول في الانتخابات الرئاسية والبرلمانية المقبلة في فلسطين الحرة؛ فهو يدعم مروان القاسمي مرشح الحزب الديموقراطي للرئاسة الفلسطينية. لكني حتماً سأتصل به للقدوم.

حاول الجد الاتصال لكن دون جدوى فقد كانت الشبكة ضعيفة للغاية ثم التفت لمحمد قائلاً:

-مازلنا نحاول إصلاح الأعطاب في شبكات الهاتف الخلوي والإنترنت والتي خربها الصهاينة الملاعين لقطع الاتصالات بين الثوار الفلسطينين دون

جدوى فقد كانت القلوب أشد اتصالاً وتلبية لنداء الجهاد من هواتفهم الساذجة والآن لدينا شبكة فلسطينية للاتصالات تحاول إصلاح ما فات.

-وفق الله الجميع يا جدي وأين ابنة عمي غفران وهل هي المرشحة التي رأيتها حقاً أم خانني حدسي؟

-غفران لقد كبرت لم تشاهدها يا محمد منذ أن كانت في العاشرة من عمرها اليوم أصبحت شابة نذرت نفسها للجهاد ضد الصهاينة ولم تتزوج إلى الآن وربما كانت المرشحة التي رأيتها.

-لقد زال الاحتلال يا جدي فلمَ لا تتزوج؟!

-إنها منشغلة الآن بالجمعيات النسائية الفلسطينية وتنمية دور المرأة الفلسطينية في المجتمع وإعلاء مكانتها، ومن الصباح للمساء في ندوات واجتماعات ومؤتمرات وربما كان هذا سبباً آخر لعدم زواجها.

كان الحديث بين الجد والحفيد شيقاً حتى داهمهما الليل وهما يتحدثان عن الماضي وأحزانه وعن المستقبل وآماله، فاستأذن الجد في الخلود للنوم حتى يتمكن من اللحاق بصلاة الفجر التي لم تفته قط طوال حياته. دخل محمد ليرقد في مخدعه الذي تركه لسنوات عدة. لأول مرة يطبق جفنيه في أمان ويستنشق هواء الحرية دون خوف من طرقات غاشمة على بابه تأخذه إلى المعتقل أو صوت رصاصات وأصوات الثكالى الضعفاء.

فلما أشرقت شمس اليوم التالي وجد يحي يطرق باب غرفته فاحتضنه ولم يصدق عينيه ودار بينهما حوار طويل عن الذكريات الجميلة التي جمعتهما



منذ الصبا، ثم تطرقا إلى قصة سقوط العدو الصهيوني فكان سؤال محمد ليحي مباشراً:

-هل كان سقوط رئيس وزراء إسرائيل حاييم شارون ووزير دفاعه وداخليته كنزاً للثوار كما سمعنا في الأخبار؟

-لا لم يكن بكل هذه الأهمية، فلقد شكلنا نحن والحزب الجمهوري الفلسطيني جهاز مخابرات فلسطيني ضم العديد من المخضرمين في هذا المجال مما مكننا من اختراق الأجهزة الأمنية الإسرائيلية وتجنيد عدداً كبيراً من الإسرائيليين كانوا يمدوننا بالأخبار والوثائق الهامة وهذا كان معيناً لنا في معرفة ثغرات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية والإيقاع بها جميعاً والقبض على أهم رجالاتها لقد استخدمنا نفس سلاح العدو في تكريس الفرقة وتجنيد العملاء لكن هذا لا يمنع أننا أشعنا على عكس الحقيقة أننا حصلنا على معلومات حساسة من حاييم وأنت تعرف جبن وخوف الصهاينة، فقد ارتعدت فرائصهم وفر العديد منهم بطائرات خاصة خارج البلاد خوفاً من القبض عليهم. لقد تعلمنا يا محمد من التاريخ وكنا أول أمة عربية تحرر نفسها بفضل تضافر جميع القوى بها وأقسم الجميع على نبذ الفرقة والخلاف مهما حدث.

-لكن يا يحي ألا تخشون أمريكا وحلفاءَها.

-أمريكا يا أخي في معركة داخلية طاحنة أنت تعرفها بالطبع ومطلع عليها!

-تقصد مطالبة حفيد دونالد ترامب بالحكم؟!

-نعم يا محمد هو أجن من جده بكثير، كما تعلم ويريد استكمال مدة جده التي أخذت عنوة منه وحوله أتباع عديدون اقتحموا مقرات الكونجرس الأمريكي والبيت الأبيض ومجلس النواب وحولوا أمريكا لساحة حرب داخلية مستعرة بشدة جعلت أمريكا في شغل شاغل عن حليفتها المدللة تاركة إياها لأقدارها وقدرها المحتوم الزوال وقد حدث.

ثم أردف يحي:

سأتركك يا بطل تنعم ببعض الدعة والراحة ولكن لفترة قصيرة؛ فأمامنا جهد كبير في البناء ولا تنسيك سنوات المنفى أنك كيميائي بارع وفي استطاعتك تقديم خدمات جليلة لدولة فلسطين.

- بالطبع هذا واجبي وأنا جندي في وطني ولكن ما هي هذه الخدمات؟!

-لنا حديث في وقت آخر.

-بل أنا متعجل ويحملني الفضول والحماس للمعرفة يا يحي حتى أتأهب من الآن.

-دائماً عجول من أمرك يا محمد اعتبرها ميزة فيك. لقد ترك الكيان المجرم تركة من الأسلحة الكيميائية والبيولوجية يعمل زملاؤنا على تدميرها ونحتاج معاونتك نريد عالماً مختلفاً ونظيفاً من الأسلحة الفتاكة، لا يرتكن للقوة ينطلق من دولتنا الحرة فلسطين وينتشر في الكون كله.

-غداً سأبدأ معكم.



-بارك الله فيك يا بطل.

وفي شهور قصيرة أعلنت فلسطين نفسها دولة خالية من أسلحة الدمار الشامل.

كانت جهود محمد في تحويل فلسطين لدولة خالية من الأسلحة الكيميائية بشكل مبتكر دون أضرار على البيئة حديث العالم وصعد نجمه بقوة للدرجة التي جعلت الصحف العربية والدولية تتساءل لمَ لا يكون رئيس دولة فلسطين عالم كيمياء؟!

كان مجرد تخيل الفكرة صعباً على ذهن محمد، فهي مسؤولية عظيمة تنوء بها العصبة أولي القوة خاصة في ظرف دقيق كهذا وهو التحول للديموقراطية لكن قدرة غفران على إقناع ابن عمها كانت طاغية أكثر من الجد ويحي اللذين حاولا معه قبول الترشح حتى يأسا من إقناعه.. فقد حسمت حديثها معه في كلمات معدودات:

هذا زمان للعلم يقود فيه العقول يا ابن العم.. لماذا سبقنا الغرب يا محمد؟

فأجاب: أعلم مرادك فالعلم في أوروبا جعل الناس في شغل شاغل عن التطاحن والتقاتل وجعلهم في شغف لكل ما هو جديد في مجالاتهم ومنحهم مهارات الإبداع والابتكار والتحليق في سماء الخيال والفكر ففهموا أن التكامل هو فلسفة الحياة وليس الصراع ومن هذا أقاموا حضارة قوية.

-لا فُضَ فوكَ يا ابن العم، فليكن هذا مسارنا في فلسطين حتى ننشئ حضارة عمادها العلم والفكر تنطلق من هذه الأرض وينتشر ضياؤها في العالم بأسره.

-ولكن لي مطلب واحد يا بنت العم.

-ما هو يا محمد؟

_ قال محمد وهو يضحك: أن نعمل معاً وسوياً في هذا الهدف والمسار طوال العمر.

اكتسى وجه غفران بحمرة الخجل وقد فهمت مراد ابن عمها فقطع عليها خجلها بقوله: علامة الموافقة هي الصمت.

استطاع محمد أن يحصد الأصوات الانتخابية أمام منافسيه الذين احترموا صندوق الانتخاب وبادروا لإعلان فوزه ليصبح أول رئيس لدولة فلسطين وعاصمتها القدس، لكن الجد اشترط على حفيده أن يتم قرانه على غفران قبل دخول القصر الرئاسي الفلسطيني ليصبح العيد في فلسطين عيدين بأول رئيس فلسطيني منتخب وزوجته السيدة الفلسطينية الأولى.

****



القصة الثالثة عشر

تراتيل القدر

يسرف الدكتور مروان في قضاء وقته بمختبره.. منذ أن تخرج من كلية العلوم وأصبح أستاذاً بها حتى وهب حياته للعلم. لقد قضى سنوات طويلة في ألمانيا عبر منحتين للماجستير والدكتوراه بها وانكب على دراسة كل ما يخص السرطان ذلك الوحش الكاسر الذي اختطف منه أباه ومن بعده أمه واستطاع بمدخراته وما ورثه عن أبيه الراحل، وهو بيت كبير بالقاهرة أن يجعله مختبراً لأبحاثه المستمرة ووفر به كافة المعدات البحثية اللازمة كما استغل الأرض المحيطة بالبيت في زراعة بعض النباتات الطبية التي يستخدمها في دراساته.

وفي خضم هذه الحياة التي اختارها بمحض إرادته نسي أن يهيئ لنفسه حياة خاصة فأهمل مسألة الزواج حتى بلغ التاسعة والثلاثين وانكب على حياة روتينية ملْؤها البحث والدراسة.

لا يبخل مروان على طلابه أن يشاركوه مختبره ولكن في حدود أبحاثهم وكفى والتي تنصب دوماً في اتجاه السرطان، فيما تظل أبحاثه الخاصة والتي يجريها بنفسه طي الكتمان فهو شديد التوجس ولا يثق بأحد إلا نفسه. كان لمروان شروط قاسية للغاية لقبول من يدخل مختبره. لقد رتب امتحاناً

مثيلاً لاختبار تقييم الخريجين (GRE) الذي تطلبه الجامعات الأوروبية للالتحاق ببرامج المنح الدراسية لديها؛ فالطالب عنده لابد وأن يكون لديه ملكات عقلية واستعداد نفسي وعصبي لتحمل مشاق البحث نجاحاً وفشلاً قادراً على تحليل المعطيات والوصول للاستنتاجات وفق قواعد علمية رصينة كما كان يشترط على المرشحين لديه تزويده بروابط صفحاتهم على الفيس بوك (Facebook)ولينكد إن (LinkedIn) ليقيس مدى جديتهم التامة بحاسة لديه كان يسميها الحاسة العلمية السابعة!!.

وصل عدد الطلاب الذين تم قبولهم لخمسة وكانت من بينهم صباح خريجة الصيدلة المهتمة بتطبيقات النانو.

كانت صباح من أسرة متوسطة فقدت أبيها بالسرطان منذ وقت قصير وكانت شديدة التعلق به مما جعلها تصمم على الالتحاق بالصيدلة ومتابعة برامج الدراسات العليا بها تحقيقاً لرغبته ومع شغفها بالعلم، فقد خاضت تجارب عاطفية فاشلة جعلتها تؤمن أن الحب قدر لا أمل لبلوغه إلا بالمصادفة المحضة لا ترتيب له ولا اختيار فهو يسقط بالقلب ويتلقفه العقل لكن لابد من اجتماع الاثنين معاً.

كان لكل طالب موعد واحد بالأسبوع لثماني ساعات متصلة يحضر ويسجل حضوره على جهاز البصمة برمز شريطي (الباركود) يرسل على هاتفه قبل موعد الحضور بثلاث ساعات ويغادر بنفس الشكل الروتيني ويرتدي بذلة



كاملة تغطي الرأس معقمة وقناع يغطي أنفه وسط نظام صارم من التعقيم وقائمة طويلة من الممنوعات كاستخدام الهواتف النقالة بعد الدخول للمختبر أو حتى استخدام دورات المياه أثناء العمل وغير مسموح للباحث أن يخرج يديه من جهاز التدفق الصفحي (laminar flow) إلا وقد أنهى تجاربه تحته.

كان لدى مروان بمعمله روبوتان ذكيان أحدهما أطلق عليه (بسيشت) مسؤولة عن مراقبة العمل وترسل رسائلها مشفرة لهاتف مروان مباشرة والآخر اختار له اسماً عربياً (ثوبان) يقوم بالتطهير داخل المختبر باستمرار.

أول ما شد انتباه صباح حينما دخلت المختبر لأول مرة الكم الكبير من النباتات بالمختبر وفي مقدمتها بنات الكاكتس (الصبار) وكان مروان بمكتبه المنعزل عن المعمل:

-صباح الخير دكتور مروان.

أنا الباحثة صباح، وقد تشرفت بأول يوم عمل لديكم.

-لا تقولي لدينا يا دكتورة بل قولي معنا فجميعنا فريق واحد وبغيتنا أطهر وأنبل هدف وهو حماية البشرية وتخفيف آلامها.

بدا على وجه صباح السرور فيما ظل وجه مروان متجمداً لا يحمل أي مشاعر أو انطباعات.

همت صباح بالخروج لكنها تذكرت أن تطرح على مروان سؤالاً حول الصبار.

-لطفاً سيدي. هل لي أن أطرح سؤالاً هو من قبيل الشغف والفضول العلمي ليس إلا؟!

-تفضلي بكل سرور.

-ما كل هذه الكمية من النباتات وأبرزها الصبار؟! أنا دارسة لعلم العقاقير جيداً وأعرفه عن كثب وهو ليس من نباتات الزينة.

-هذا البيت ورثته عن أبي وقد كان من المغرمين بالصبار وقد ورثت هذه الهواية عنه فضلاً عن تخليد ذكراه.

-ألهذه الدرجة؟!

-أجل وأكثر لقد كان عضوا بالجمعية المصرية لهواة نبات الكاكتس عام **1940** وكانت كائنة بشارع معروف رقم **4**بالقاهرة كما رأيت بتدويناته فقد مات أبي وأنا صغير.

-رحمه الله دكتورنا الكريم وشكراً لسعة صدرك.

لم تقتنع صباح بكون هذا السبب الوحيد لوجود هذا الكم الهائل من الصبار وراحت حاستها السادسة تثير لديها الفضول لمزيد من المعرفة.

كان الجزء الخاص من المعمل بمروان أشبه بالشجرة المحرمة الممنوع الاقتراب منها أو الحديث عنها ولو همساً، وموضعاً للمراقبة طوال الوقت



من بسيشت ومزوداً بباب لا يفتح إلا ببصمة العين يدخل ويخرج منه مروان دون أي صوت.

كانت التقارير التي ترسلها بسيشت عن صباح توحي بأنها أكثر الفريق نبوغاً وأنها متحمسة تماماً للعمل وكانت تلقى التشجيع من مروان مقارنة بأقرانها مما جعلها تحاول أن تقتحم خلوة مروان وأن تعرف سر ما يحدث.

في البداية رفض مروان مراراً أن تشاركه صباح أبحاثه مما دفع الأخيرة أن تحذو حذو حواء وتتطلع للشجرة المحرمة بنفسها وأن تستغل تعطل بسيشت عن العمل ذات يوم وهو أمر نادر الحدوث.. كانت صباح تدرك استحالة دخول القسم المختبري الخاص بمروان لكن بدا لها المكتب هدفاً سهلاً، وكان المكتب مفتوحاً على غير العادة فظنت أن مروان ربما تأخر عن موعد الجامعة ونسيه دون أن يغلقه وراحت تتفحص أوراقه وكمبيوتره اللوحي المغلق ببصمة يديه. كان بالأوراق حسابات دقيقة لجرعات من دواء حمل اسم **SCNPs** على خمس مجموعات من الفئران.

فبدأت تهمس: بحث على دواء من جزيئات النانو إذاً وبينما تهم بالخروج شلت أطرافها فمحاولتها فتح الكمبيوتر اللوحي جعلته يطلق موجات كهرومغناطيسية غير مرئية، وبعد مضي ساعة وهي تحاول الفكاك من الموجات التي أطبقت عليها من كل جانب كأذرع الأخطبوط، لتجد مروان قد حضر فعلا واجهها التوتر والخوف وأوقف الموجات عبر ضغطة من يديه

على جهاز كمبيوتره اللوحي، فحاولت أن تستجمع قواها مرة أخرى وأن تسرع بالخروج فجذبها مروان للداخل مما جعل وجهها يحتقن بشدة وينبض بالحمرة من الخجل والارتباك والخوف في آن واحد.

قالت صباح: آسفة سيدي لم أقصد أبداً أي سوء.

-ما حملك على هذا؟

-سأقول بصدق.

-وأنا أستمع لك.

-الشغف العلمي والفضول ولا شيء غير هذا.

-سأحترم هذا الشغف ومتقبل تبريرك ويغفر لك ما حملته التقارير عنك وعن اجتهادك.

تبدل وجه صباح من حال إلى حال وزال عنها الارتباك والخوف وانفرجت أساريرها.

وأكمل مروان قائلاً: سأشركك أيضاً فيما أبحث عنه على أن يكون بحثنا سوياً سراً حتى يرى النور.

-بإذن الله يا سيدي.

-لقد أخبرتني أنك درستِ الصبار ولكن ماذا تعرفين عن علاقة الصبار بالسرطان؟

-لا أعرف سوى استخداماته البسيطة على البشرة وفي التئام الجروح.



-أتعلمين أن له أثراً طيباً وعظيماً في محاربة السرطان، لكن الدراسات محدودة للغاية؟!.

-أمر مشجع للغاية يا سيدي.

-لقد استطعت أن أطور دواءً من الصبار بتقنية النانو جامعاً معه بذور الخرفش (السلبين المريمي) علاوة على السكر، وقد اخترت تقنية النانو لأجعل الدواء يستهدف الأعضاء المعطوبة فحسب دون المساس بالسليمة لتلافي الأعراض الجانبية للعلاج الكيميائي والإشعاعي لمرضى السرطان الذي يزيد من آلامهم.

-لكن السكر مادة تتغذى عليها الخلايا السرطانية يا سيدي.

-أحيي سرعة بديهتك وأشكر الظروف التي جمعتنا في هذا البحث.

الأمر وببساطة أننا نقدم للخلايا السرطانية طعماً يجعلها تتخلى عن تخفيها وتتقدم طوعاً صوب الصبار الذي يحتضنها لتدخل مضمار الموت المبرمج للخلايا ونتخلص منها وكما تلاحظين فالصبار أزرعه بحديقة المختبر بنفسي، وقد أدخلت عليه تعديلاً جينياً فهو يحمل في عصارته مقصات جزيئية من إنزيمات القطع (CRISPR-LNPs) لتدمير المحتوى الوراثي داخل الخلايا السرطانية علاوة على تأثير بذور الخرفيش في مناهضة السرطان، لاحتوائها على مادة السليمارين وبهذا يتحقق إجهاز تام على هذه الخلايا السرطانية بمسارات خلوية شتى.

اشتد بريق عينيّ صباح وهي تقول:

-عظيم دكتور مروان.

بدت صباح شديدة الحماس تمضي أغلب الوقت بالمعمل بصحبة مروان وفي أوقات غيابه وتواجده بالجامعة. نجح مروان وصباح في اجتياز التجارب على الفئران بتفوق لكن رفضت الجامعة أن تمنح مروان تصريحاً بمباشرة التجارب السريرية على البشر فأسقط في يديه.

لكن صباح كان لديها الحل.

-لا تحمل هما دكتورنا العظيم فأنا متطوعة لخدمة هذا البحث وأثق في نجاحه.

-لا أستطيع أن أضحي بك هذا جنون.

-لن تضحي بالعكس سننجح وكلي ثقة في أننا سنعلن نجاح تجربتنا أمام العالم قريباً.

تملك الضعف من مروان أمام إلحاح صباح وحماسها المفرط وراح يتخيل عدسات الكاميرات المسلطة عليهما بعد إحراز النجاح. وضع مروان بروتوكولا للتجربة يتضمن استحثاث السرطان بجسد صباح عبر حقنها يومياً بجرعات كبيرة من مادة (البنزوبيرين) وكانت الروبوت بسيشت تقوم بهذه المهمة بشكل دقيق حتى أظهرت التحاليل إصابة صباح بالسرطان فبدأ مروان في بروتوكول علاجها بالدواء.



لكن المفاجأة أن صباح وبعد شهر من العلاج بدأت تشعر بالوهن الشديد وتفقد وزنها بشكل متسارع فحاول مروان إيقاف العلاج وتزويدها بمجموعة من الفيتامينات في شكل رذاذ أنفي إذ كان من المحال حقنها وريدياً أو عضلياً لكن كل جهود مروان باءت بالفشل وفارقت الحياة بين يدي بسيشت.

حزن مروان حزناً شديداً وأغلق المعمل فقد أصبح كل ركن فيه يذكره بها لقد اكتشف أنه أحبها دون أن يدري وندم على إجرائه التجربة عليها وتمنى لو تعود الأيام ليصارحها بحبه.

بعد شهور وبينما مروان تحت تأثير المهدئات فاجأته صباح بالزيارة في منامه بوجهها البشوش فاستيقظ من نومه سريعاً وهو يتمتم بقولها: لا وقت لديك ابدأ العمل من جديد وستنجح. بدأ مروان يستعيد نشاطه الروتيني لكن أضاف عليه زيارة أسبوعية طوال اليوم لقبر صباح حاملاً معه في كل زيارة أجزاء من الصبار تحمل اسمهما معاً.

****

القصة الرابعة عشر

لماذا يلحدون؟

عاشت زينب في كنف أبيها الشيخ الورع الحاج إبراهيم صاحب السيرة الحسنة في حارة كتامة (عرفت أيضاً بحارة الدواداري وعطفة الأزهري) التي حملت اسم قبيلته البربرية والتي نزحت لمصر مع القائد جوهر الصقلي إلى مصر فورث بيته ودكانه لتجارة الأعشاب والتوابل أبا عن جد.

كانت زينب الجميلة المحيا هي الابنة الصغرى والوحيدة مما جعلها الأثيرة لقلب أبيها، فكان الأب لا يردها فيما تطلب أو تحلم إلا أنه كان دائماً ما يرفق إجابة مطالبها بشرط وقد حفظت زينب الشرط عن ظهر قلب من طول ما لازم تلبية مطالبها.

كان حلم الحاج إبراهيم أن ينشىء زينب تنشئة دينية قويمة لكن زينب كان تحب اللعب واللهو ولا تسرع للصلاة في وقتها على الرغم من بلوغها التاسعة فكان والدها يستخدم الترغيب والترهيب في آن واحد فيستجيب ملبياً لرغبات زينب الطفولية في المأكل والمشرب والهندام في مقابل الحرص على الصلاة في وقتها فإذا تراخت بعد ذلك فنسيت أو تناست يرغمها ويعنفها كما كان يمنعها من مخالطة زميلاتها في غير وقت المدرسة خشية أن يكون من بينهن قرينات سوء وفي شهر رمضان كانت زينب كثيرة



الشكوى من الجوع والعطش لكن الأب كان تواقاً لتحول زينب للشكل الذي يداعب مخيلته حول مستقبل ابنته الديني دون أن يضع اعتباراً للتدرج في التكليف والتدرج في العقاب والذي أصبح مع الوقت ضرباً مبرحاً ترك أثراً بجسد الطفلة الصغيرة، مما أولد لدى زينب روح التمرد وتحول السهو إلى تعمد، فقد صارت بمضي الوقت تمقت هذه الطقوس الذي تجلب لها العقاب دائماً!!.

وحينما بلغت زينب العاشرة من عمرها كان رحيل الأب لتبدأ سلسلة جديدة من المصاعب مع أخيها محمود الذي ورث تجارة أبيه وأصبح الآمر الناهي في بيته.

كان محمود لا ينفك يقسو على أخته كلما فاتها فرض من الصلاة أو سمع من شيخها أنها لم تحسن التلاوة أو الحفظ كما كان يتغير وجهه ويشتد معها إذا طرحت على مسامعه أسئلتها حول الخلق ولازالت تتذكر صفعته القوية لها على وجهها حينما سألته من خلق الله؟ ولمَ جعل الناس شيعاً ومذاهب ولمَ لمْ يوزع نعم الحياة على الناس سواسية؟!

ما أن بلغت زينب الثمانية عشر من عمرها حتى رسمت مسارها وعنوانه هو العلم وحسب، ووجدت بغيتها في تحقيق ذلك بالالتحاق بكلية العلوم بجامعة القاهرة واختارت قسم الرياضيات تحديداً وهو ما جعلها أمام ثورة أخيها العارمة والذي كان يريدها أن تكتفي بالثانوية العامة وتتزوج وتتفرغ لدور المرأة الأساسي في الأمومة ورعاية الزوج.

ضاقت زينب ذرعاً بكل هذا التحكم والقسوة وقررت أن تضع حداً له وأن تغادر البيت الذي لم تعرف فيه سوى الإهانة وأن تسكن بسكن الطالبات المجاور للجامعة والكلية التي أحبتها، وتركت خطاباً لأخيها تقول فيه " أخي الحبيب أرجو ألا تغضب مما فعلت فالعلم والطموح غاية تستحق خوض غمارها واستقلالي عنك ليس كرهاً بك ولكن رجاء في متسع من الوقت يبني محل حائط الفرقة جسوراً للود إن لم يبنها القرب فقد تجد طريقها مع البعد". وأخذت معها مصحفاً صغيراً لأبيها لتحمل ذكراه معها.

سرعان ما مضت الأعوام الأربعة للدراسة لتتفوق زينب على أقرانها وتعين كمعيدة بالكلية.

كان لزينب صديقة واحدة من روسيا تعرفت عليها عبر موقع التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) منذ سنوات عدة واسمها ماريا وتكبرها بعشر سنوات، وكانت مختصة في دراسة التاريخ الشرق أوسطي بجامعة سانت بطرسبرغ وكان لزينب موعداً ثابتاً مع صديقتها يقضيان الوقت لساعات طويلة يتبادلان فيه الأحاديث الصوتية والمرئية والكتابة أحياناً ويتشاركان الهوايات ومنها العزف سوياً على بلالايكا الآلة الشعبية الروسية.

لاحظت ماريا أن القرآن بغرفة زينب تعكف عليه بعد جلسات الموسيقى وقبلها وتقرأ منه شيئاً قليلاً وتغادره فكتبت لها:

-أتدرين أنك تشبهين شخصية تاريخية معروفة ببلادكم؟!

-من هذه الشخصية؟



-خمارويه بن أحمد بن طولون

- كيف؟

-كان لوالده أحمد بن طولون مجلساً للمكبرين كانت عدتهم اثني عشر رجلاً يكبرون ويحمدون ويسبحون ويقرؤون القرآن ويؤذنون للصلاة فلما تولى خمارويه أبقى عليهم، فكان كما يقول المقريزي يمضي الوقت في الشراب مع حظاياه في الليل، وقيناته تغنيه، فإذا سمع أصوات هؤلاء يذكرون الله، والقدح في يده، وضعه على الأرض وأسكت مغنياته، وذكر الله معهم أيضاً حتى يسكت القوم، لا يضجره ذلك ولا يغيظه بعد أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع.

-يا ماريا الدين الإسلامي لا يمنع الموسيقى بالعكس الموسيقى لغة راقية ترتقي بالنفوس وتصفو بالروح ولكن المشهد الذي استدعيته من الماضي فيه كثير مما يؤخذ على الرجل وهذا ليس موضوعنا.

-ما رأيك يا زينب أن تأتي لروسيا؟

- كيف؟

-قد لا توجد بروسيا منح دراسية لكن مصاريف الدراسة ليست مرتفعة مقارنة بدول أوروبا وأمريكا.

-إنها فرصة عظيمة.

-أستطيع أن أساعدك هنا في الالتحاق بالجامعة.

فكرت زينب كيف تحصل على المال اللازم للسفر والإقامة؟ ولم يكن لديها سبيل سوى أن تعود أدراجها للمنزل الذي غادرته وهي تنوي عدم العودة إليه نهائياً ولكن الضرورات تقتضي ولها الغلبة أحياناً ووجدت نفسها وجهاً لوجه أمام محمود مجدداً فقال لها ووجهه مسود وهو كظيم:

-ماذا جاء بك إلى هنا؟

-هل هذه مقابلتك لي بعد كل هذه السنوات؟!

-أما الرحيل فكان اختيارك فماذا أصنع لك؟!

-لا تصنع شيئاً فقط أريد ميراث أبي.

فقال وقد قَطَّب وجهه:

-لا ميراث لك عندي.

-كيف؟ هذا حقي وميراثي عن أبي.

-قلت لك لا ميراث لك عندي واسلك ما شئت من طرق المحاكم والآن اغربي عن وجهي.

غادرت زينب البيت وقد أعتمت الحياة بين ناظريها.

حاولت زينب أن توسط الشيخ إحسان خطيب المسجد فبذل قصارى جهده في إقناع أخيها بأن الميراث شرع الله ومنعه عدواناً صارخاً على الشرع حتى وإن أخطأت أخته في مغادرة البيت دون إذنه لكن عناد الأخ كان أقوى وأمضى.



انطلقت زينب لا تولي على أحد وذهنها غارق كيف تدبر المال؟ والباب الوحيد موصد حتى تعبت وخلدت للنوم العميق وفي المنام أتاها أبوها حزيناً ينهرها عن طريق غير مستقيم أمامها وتوشك أن تسلكه فاستيقظت من النوم فزعة وطردت عن نفسها أي هاجس يحول بينها وبين السفر لتحقيق حلمها.

وراحت تكتب لماريا:

-لم أستطع توفير المال الكافي؟

-هون عن نفسك الأمر سأقرضك المال وادفعيه على أقساط لي بعد ذلك. هل يناسبك الحل؟

-أجل. شكراً لك صديقتي العزيزة.

في روسيا بدأت زينب حياة جديدة لا مكان فيها للدين الذي لم تعرف معه سوى القسوة فتركت المصحف الذي الذي ورثته عن أبيها بمصر وعن طريق ماريا تعرفت زينب على غالينا الباحثة في الجيولوجيا وتوطدت العلاقة بينهما بشكل كبير وتبادلا الزيارات والخروج للتسوق سوياً وفي إحدى المرات راحت غالينا توجه نصحها لزينب:

-أتدرين يا زينب ما هي أهم سمات العالم الباحث المستنير والمحايد؟!

-ما هي؟

- هو تحرره من القيود التي تكبل عقول البسطاء وتخدرهم وتعوقهم عن النظر لحاضرهم ومستقبلهم بشكل عملي جاد وما أكثرها.

فقالت زينب: وما أهم هذه الأفكار؟

فقالت غالينا: أولها ومحورها فكرة الله...

دهشت زينب وانعقد لسانها فلاحظت غالينا حجم ما ألقته على مسامع صديقتها ومبلغ صدمته بالنسبة لها فأكملت:

إن المجتمعات الفقيرة والجاهلة اختارت أن تلهث وراء هذه الفكرة وأن تتعلق دائماً بها وحينما يزداد اعتناقها لها تمضي في دوامة من الكسل والتواكل رافعة أيديها إلى السماء دوماً طالبة منها الحلول لكل شيء وأي شيء ولكن السماء دائماً ما توصد أسماعها دونهم فليس لديها شيئاً لهم والدليل أنهم مازالوا على حالهم من التشرذم والصراع والكراهية والتقاتل والفقر وقلة الحيلة.

إن الله فكرة أوجدها صراع الإنسان البدائي مع الطبيعة وعجزه أمام مواجهتها ولكننا الآن وفي العصر الحديث طوعنا الطبيعة لتكون بين أيدينا وطوع إرادتنا فما حاجتنا لهذه الفكرة؟!!.

وحتى تحط قدماك يا عزيزتي على أعتاب البحث العلمي تخلصي من ربقة قيودك وتحريري فالعلم حرية وانطلاق وإبداع، ومن ثم خلود دائم بالفكر لا بالجسد.

فقالت زينب:

ولكن كيف نرى الكون بلا خالق؟



-الكون نتاج مصادفة فلو تركتِ قرداً مثلاً على آلة كاتبة ماذا سوف يصنع بحروفها؟! سيصنع لكِ بلايين الاحتمالات ولن تعدمي أن تجدي قصائد وأدبيات محكمة تضاهي وتتفوق على ألكسندر بوشكين وأخرى تجدينها من الضعف بمكان تماماً كحال الكائنات بالكون بين مريض ومصح وقوي وضعيف وخاضع ومسيطر.

وماذا عن الموت والضمور؟

إن الموت يا عزيزتي هو نهاية لتجربتك الشخصية بالدنيا والتي عليك أن تعيشيها حتى الثمالة، إن الخوف من الموت هو ما يجعلك تركضين نحو فكرة الحياة بعد الموت خشية من مجهول لا ترينه ولم يعد أحد ليحدثنا عما رأى وسمع بعد رحيله إن هي إلا حياتنا الدنيا نعيش فيها ونحيا وكفى.

وماذا عن المرض؟

-لا تقولي المرض يا زينب بل قولي ضعف الإرادة وتباطؤ الحصول على التكنولوجيا الحديثة هي التي تقصر من الأعمار وتطيلها وليس شيئاً آخر. سأعطيكِ مثالاً هل تعلمين شيئاً عن مرض صدأ البن؟!

ردت زينب:

-لا.

-إنه مرض تسببه نوع من الفطريات تسمى هيميليا فاستاتريكس هذه الفطريات تسبب تلفاً كبيراً في المحاصيل وتخفض من إنتاج القهوة في بعض

الأحيان ماذا لو انتصر العلم وحارب هذه الآفة بضراوة؟! ألن يزيد المحصول ويستمتع العالم بمشروبهم الشيق؟!

إنه العلم يا عزيزتي وقوته وليس الإله...

صمتت زينب.

بدأت أفكار غالينا تلاقي ارتياحاً لدى زينب يوماً بعد يوم وتداعب مشاعر داخلها في أن يتلاشى ما تبقى من الدين ويثير لديها الشعور بوخز الضمير فأقدمت على إعلان إلحادها والمجاهرة بذلك في بث على اليوتيوب واتخذت اسماً جديداً هو صافي، وانضمت إلى جمعية الملحدين العالمية وأصبحت من ناشطيها حول العالم.

رفضت ماريا وكانت مسيحية الديانة ما أقدمت عليه صديقتها وهاتفتها لتثنيها عن ذلك فالله حق وهذا الكون المحكم من حولنا وعظمته دليل على وجوده، فقالت لها صافي: لقد أجهدني التفكير ووجدت الراحة في أن أتخلى عن كل شيء آلم نفسي لأرتشف من كأس السلام الداخلي لأول مرة بحياتي وقد وجدت ذلك بازغاً في الإلحاد!

بدأت جائحة كوفيد **19** تجتاح العالم بأسره والإصابات تتزايد من حول زينب أو صافي وفرضت الإجراءات الاحترازية قيوداً حول الاجتماعات فتوقف نشاط الجمعية بشكل مؤقت.



أصيبت صافي فيمن أصيبوا وفي إحدى لحظات الحمى أتاها والدها في المنام مكسور البال والخاطر وفي هيئة رثة يمشي على أرض مجدبة وما أن اقتربت منه حتى تلاشى.

راح الحلم يتكرر لمرات عدة فأسرت صافي لماريا التي جاءت تعودها بالحلم فقالت ماريا:

-أحياناً تصبح أعظم إنجازاتنا في هذه الحياة ألا نرى علامات الحزن في وجوه من نحب. ففكري فيما أحزن والدك؟!

كانت أعراض كوفيد **19** تمر ثقالاً عليها فقد كانت مصابة بالربو والسكري مما ضاعف من خطورة الأعراض وأطال من بطء التعافي ولأول مرة بدأت تخلو الحياة من ضجيجها ولا تجد سنداً حتى غالينا كان هاتفها مغلقاً طوال الوقت، فبدأت تبحث عن مصحف لتلمس صفحاته وتعاود تلاوته من جديد في أناة وخشوع، وبدأ يمر شريط حياتها أمامها وتتفهم الرسائل التي تحملها أحلامها التي لا تنقطع بأبيها لقد أحست لأول مرة بدبيب الحياة يعاودها وفقر الحياة وجدبها حينما تخلو من حلاوة الإيمان بالله وعطش اللسان وظمأه للتضرع للرحمن سراً وعلانية.

****

القصة الخامسة عشر

الخواجة والجارية

-يا عبد الله هذا الفندق يروق لي ومناسب تماماً.
-يا خواجة فندق دوميرج رخيص لا يليق بمكانتك ولا أستطيع أن أصحبك فيه إنه يضر بسمعتي كترجمان وسط زبائني.
هكذا رد عبد الله وهو يحدث نفسه:
يا له من يوم سيء الطالع لم أجد فيه من الخواجات الأوربيين الأثرياء سوى خواجة فرنسي وبخيل؟!
ثم عاد للخواجة قائلاً:
-لدي فكرة يا سيدي ألا تريد أن تعيش حياة الشرقيين عن كثب وأنت رحالة كما فهمت من حكاياتك عن السفر وعادات الشعوب أليس كذلك؟!.
-بالتأكيد ولكن بتكلفة أقل.
-وهو كذلك سأصحبك إلى حي الأقباط هناك ستجد بغيتك فهو حي هادئ وبه أطياف شتى من اليهود والمسيحيين وأيضاً المسلمين.
-قليل من المال مع متنفس أكبر للحياة ومغامرات شيقة وراح يقهقه كالثمل.



_قال عبد الله وهو يكظم غيظه: حاضر يا سيدي الخواجة ستجد ما يسرك.

عثر الرجلان أخيراً على منزل خشبي تملكه سيدة قبطية فاستأجره الخواجة وأخذ مفتاحه وعلقه في رقبته!!

كان الخواجة متعباً فما أن دخل البيت حتى غرق في سبات نوم عميق لوقت العصر، ولم يشأ عبد الله أن يوقظه وجلس على المقعد المقابل يتلو القرآن من مصحف صغير لا يفارق جيبه إلا أن وقع طرقات عنيفة للباب أيقظ الخواجة، ففتح عينيه في شيء من الريبة وأسند رأسه على الوسادة.

ذهب عبد الله لفتح الباب فوجد أمامه شيخ الحارة وبصحبته مجموعة من العمال ومعهم معدات بناء!

فقال لهم عبد الله مندهشاً:

-ماذا هناك؟

قال شيخ الحارة:

-أين الخواجه؟!

-بالداخل وهو نائم

-أيقظه إذاً.

نهض الخواجة وقد أزعجته أصوات الجلبة بالخارج وجلس في منتصف السرير وصاح يا عبد الله.

فدخل عبد الله وبصحبته شيخ الحارة فبادره قائلاً:

-يا خواجة لقد تقدمت الجارة التي تقطن بجوارك بشكوى هي وزوجها.
-شكوى ضدي أنا؟! لماذا؟!
-لقد رأتك تنظر من سطح منزلك على حديقة منزلها.
-لقد كانت نظرة عابرة فقط لتفقد المكان ورؤية معالمه ومعرفة الطريق إليه.
-لكن المسألة لم تأخذها السيدة وزوجها بهذه البساطة والعفوية.
-وما الحل؟!
-هذا بيت القصيد ولأجل ذلك جئت فعليك أن ترسل زوجتك للتفاهم مع الجارة وحل الأمر بشكل ودي وسأسعى للتهدئة.
-لكن ليس لدي زوجة.
-وهذه كارثة أخرى يا خواجة.. جيرانك لديهم نساء وهذا هو العرف هنا إما أن تتزوج أو أن ترحل.
أصيب الخواجة بالانزعاج والارتباك والغضب الشديدين، بعد ما دار بينه وبين شيخ الحارة، وترجمه له عبد الله بشيء من التهذيب كي لا يشعل المسألة، فأقسى ما يؤلم الذات أن تتهم في ميراثها من الأخلاق.
فقال له عبد الله:
-يا سيدي لم يقصد شيخ الحارة أي إساءة لأخلاقك، بل مجرد النصيحة فهذه عادات الشرقيين التي تستحق أن تدون عنها في رحلتك.
استراحت نفس الخواجة لكلام عبد الله وراحت تهدأ



أكمل عبد الله قائلاً:

ولكن يا سيدي وحتى هذه اللحظة لم أتعرف بك فمن أنت؟

-أوه!! أخذنا هدف البحث عن منزل ولم نتعرف أنا جيرار دي نرفال شاعر فرنسي ورحالة كما عرفت عني.

هل سمعت باسمي من قبل؟

-لا.

-ولا أنا أيضاً قالها جيرار وغرق في الضحك!!

فقال عبد الله في نفسه إنه ليس بخيل فحسب بل مجنون أيضاً.

-أنت مسلم أليس كذلك؟ قال جيرار.

_ فقال عبد الله: أجل.

-إن ديانتكم شديدة العظمة يا عبد الله.

-لماذا؟

-لأنها أتاحت تعدد الزوجات وبدلاً من تعدد العشيقات في الخفاء كما يفعل الأوروبيون في الخفاء وحتى القساوسة منهم يصبح للمرء حياة معلنة وصريحة ومنظمة.. رائع جداً أن تحيط نفسك بأشكال مختلفة من النساء السمراء والبيضاء والشقراء والجعداء ورقيقة المشاعر والأحاسيس والقاسية أيضاً والمرأة المتحملة لقسوة الحياة وشديدة المرح أيضاً.. في تناقضات النساء متعة لا تضاهى يا عزيزي، وجمال الحياة واكتمال عنفوان السعادة في التنوع بدلاً من الصبر على صنف واحد أو طرق أبواب الرذيلة والمتع المحرمة.

ذهل عبد الله من تفكير الخواجة المنتصر لقضية كهذه فلم يعتد مثل هذه الأفكار من الأجانب الذين اعتادوا الهجوم على الشرق بسبب هذه القضية وغيرها!!

لمح جيرار الدهشة في عيني مترجمه فقال له: لا تندهش سترى معي الكثير والكثير من الغرائب والعجائب!!

ذهب جيرار إلى صيدلية كاستانيول ليقابل صديقه الفرنسي جون الذي يعمل بها منذ أمد بعيد وكانت بينهما مراسلات لا تنتهي على الرغم من البعد الزمني والمكاني الكبير ليسأله عن السبيل للخلاص من هذه المشكلة الطريفة فقال له جون وكأنها أمر طبيعي ومعتاد:

-ماذا لو تزوجت سيدة قبطية بشكل رسمي؟ لقد كبرت يا صديقي وآن الأوان لك أن تستقر.

-أكره هذا الحل.

-ألا زلت تحب الممثّلة كولون؟!

-لقد أضحت جزءاً من الماضي الذي انتهى بالنسبة لي يا عزيزي لقد سخرت مني وتركتني لإفلاسي وجنوني.

-أعلم من خطاباتك إلي يا صديقي يا مخترع الأساطير من النساء.

ظهر على وجه جيرار الحزن فأكمل صديقه: المرأة الأسطورية المنزهة لا وجود لها يا صديقي المرأة جنس مغلف بالمشاعر والأحاسيس التي تقود للفراش فهي تخلع مشاعرها مع الثياب تماماً لتدخل بعدها في مرحلة



الحب المادي حيث إنفاق لا محدود يلبي متطلباتها ويتناسب طرداً مع ما ستمنحك في مقابله من سعادة سواء بسواء فإن كان المنح بسيطاً كانت السعادة في المقابل ضئيلة وإن اتسع عطاؤك المادي صرت في سعادة باذخة. وأنت وحظك، فلربما صادفت القنوعة من النساء وهو جنس يوشك على الانقراض وإما أن تصادف كثيرة السعي للمظاهر وهو الأبرز والأكثر والأعم.

-أعلم ولهذا ابحث لي عن حل آخر.

-إذاً اشترِ جارية وهذا حل اقتصادي ومناسب جداً لك فوضعك هنا مؤقت ومالك محدود.

-أجننت أنا أوروبي وشاعر مثقف فكيف أن أقتني جارية وأخالف الحداثة والأفكار التي أمنت بها فالرق امتهان لكرامة البشر وعبث بأقدارهم لن اصنع مسوغاً يسير عليه غيري نحو هذه الهاوية المنافية للتقدم.

-أنت في الشرق بتخلفه وجنونه ولست في أوروبا، اعقل هذه الحقيقة وإلا فليس لديك سبيل سوى الزواج وتحمل تكاليفه يا صديقي. أو...

-ماذا؟!

- لدي فكرة.. اذهب إلى القنصل الفرنسي بالقاهرة وقص عليه المسألة ربما تجد لديه حلاً وإن كان القناصل يتنصلون من المشاكل خاصة في المجتمعات الشرقية المحافظة.

كانت المقابلة مع القنصل الفرنسي فاترة ويسودها الحسم والمباشرة فأوضح القنصل لجيرار أنه ليس الأوروبي الوحيد الذي جارى تقاليد الشرق البالية فالسيد كلوت بك ومستر لين القنصل الإنجليزي وحتى مايبه القنصل في عهد لويس الرابع عشر فعلوا نفس الشيء.

أسقط في يد جيرار وصار لا مناص من هذا الحل الثقيل على قلبه كالجاثوم فخرج مع ترجمانه عبد الله الذي صار يرافقه في كل لحظة إلى سوق النخاسين.

لم يطل طواف جيرار على التجار فقد قاده عبد الله إلى أشهرهم وهو التاجر عبد الكريم رجل في منتصف العمر متوسط القامة وبكرش صغير وبصوت جهوري غليظ يعرض بضاعته بطريقة رخيصة ومبتذلة:

-لدينا يا خواجة كل ما يسر الناظرين. زنجيات ونوبيات وشركسيات وتستطيع المعاينة كيفما تشاء ولديك ثلاثة أيام بعد الشراء للتجربة والاستبدال.

دهش جيرار من الكلمات الأخيرة عن التجربة فشرح له ترجمانه عبد الله:

- يا سيدي يقصد بالتجربة أن تدفع السعر مقدماً وتصحب الجارية معك للبيت ثم ترقبها إن كان يزعجك شخيرها مثلاً أو غير نظيفة أو كثيرة التبول أثناء الليل مما يزعجك أو تتبين منه أنها مريضة يمكنك إرجاعها ويمكن أن تضعها في طاسة من الماء فإذا نقص الماء كانت قليلة الصحة.



-يا حسرة على العباد ألهذه الدرجة ذهبت المروءة من الناس فصاروا كالقطيع يبيع بعضهم بعضاً!! يا لرخص البشر وامتهان كرامتهم لقد خشيت أن تقول لي أن من التجربة أيضاً أن أرقب خروج البراز من مؤخرتها!!

راح جيرار يحرك ناظريه بين الجواري، فقط الإقبال الأكثر على الزنجيات وأغلبهن فرحات ويدخن في شراهة ويجدن عرض أنفسهن بشكل بارع ومثير فيما وجد جاريات أُخر يبكين وبعضهن يتصببن عرقاً من الخوف وأيدي العابثين تطوف بين لحوم أجسادهن في قسوة لا ترحم.

قطع عبد الكريم على الخواجه شرود ذهنه بالقول: ماذا تفضل يا خواجة؟!

-أود جارية بسعر مناسب.

-فهمت مقصدك يا خواجة ولدي جارية أندونيسية حديثة ستروق لك ومناسبة في السعر ولكن لا ينطبق عليها شرط الإعادة خلال ثلاثة أيام.

قال الخواجة: لماذا؟

-لأنها أقل سعراً كما تستطيع تفحصها بشكل كامل الآن.

-دعني أراها.

نادى عبد الكريم على الجارية

-منى تعالي ليراك سيدك الجديد.

راح عبد الكريم يفحص منى ذات البشرة السمراء أمام الخواجة فكشف عن أسنانها اللامعة والناصعة البياض ليتأكد من صغر سنها كما كشف

عن ساقيها وأمرها بالسير أمامه ليتأكد من سلامتهما فأعجب الخواجة بصغر قدميها وتناسقها.

بدأت الشكوك تساور الخواجة فسأل عبد الكريم:

-كم لبثت هذه الجارية لديك؟

-يوماً أو بضع يوم.

فهم الترجمان ما يخشاه الخواجه فأسر في أذنيه: لا تخف يا سيدي فبالتأكيد عبد الكريم لم يجامعها، فهو يؤدي عمله فقط في عرضها عليك للترغيب في الشراء وبالتأكيد هي بارئة من الجماع منذ فترة وخالية من الأمراض.

ولكن هل تسمح لي يا سيدي أن أبدي اندهاشي من أنك تركت الزنجيات بدفئهن ونحن في فصل الشتاء والشركسيات بجمالهن وأنا أعرف الذوق الفرنسي المائل لذلك بحكم ما قصه علي صديق يعمل مترجماً للجنرال دبوي أثناء الحملة الفرنسية لكني وجدتك تركت ذلك وركنت لفتاة أسيوية متوسطة الجمال.

قال جيرار متعاظماً: ألم أقل لك ستجد معي كل جديد وغريب؟!

دفع جيرار على مضض أربعة أكياس أي **625** فرنكا لعبد الكريم ثمناً للجارية.

وما أن أختلى جيرار بمنى حتى أصابه الضيق من كذب عبد الكريم وغشه له؛ فبعد أن استحمّت الفتاة اكتشف مواضع لحروق قديمة خلف شعرها



وتحت نهديها، وثقباً بأنفها وقد أخفاها بدهانات أقرب للون الجلد لكن سرعان ما زالت مع الماء، مما أثار نفوره وعزم على إعادتها، ولكنه تذكر عرقه الأوروبي ودماء الحداثة في شرايينه، وأن البحث بين أجساد الرقيق لا يليق بمكانته، ولا يمكن أن يلقي بها في أتون الاسترقاق مرة أخرى فاحتفظ بها وفي الصباح أحضر لها الفطور، فلم تقربه ومما ضاعف من دهشة جيرار حينما طلب منها أن تقوم بالطهي له في المساء فلم تفعل.

وبدأ يبحث عن ترجمان آخر بينه وبين زوجته لعل الحاجز اللغوي هو السبب في إحجامها عن الأكل والطهي، فوجد بغيته في جار له هو منصور القبطي وزوجته والذي رافق الفرنسيين في مصر وارتحل معهم ثم عاد مرة أخرى لمصر بعد اضطراب الأوضاع بفرنسا.

تحدث منصور مع الفتاة بلهجتها فوجد أنها مسلمة واسمها زينب وليس منى كما كانوا ينادونها، وأنها كانت صائمة. لكن النبأ المزعج الذي حمله منصور لجيرار حين قال له: إن الفتاة تأبى أن تكون جارية وأنها في هذا البيت لابد وأن تعامل كسيدة لا تطهو ولا تمارس هذه الأعمال المهينة وأن عليه أن يشتري لها ملابس السيدات الفساتين الحريرية وحذاء برقبة وإلا شكته للباشا!!!

فقال جيرار: محمد علي باشا؟!!

قال منصور: أجل فمن حقها أن ترفض سيدها ويعاد بيعها مرة أخرى إن رغبت في استبدال سيد مكان سيد.

فتح جيرار فاه وقال لنفسه: رفضت أن أعيدها وقبلتها بعيبها وهي تثقل كاهلي بشروطها ما أخبث هذه المرأة!! .

أجاب الخواجة الفتاة في كل ما طلبته وحتى يوفر بند الطهي من بنود أخرى وهو مرهق مادياً عليه قرر أن يعلم الفتاة الفرنسية حتى يستغني عن المترجم..

بدأت حياة جيرار تتغير برفقة الفتاة فعلاوة على تزايد نفقاته فرائحة البصل والثوم التي تزين بها جدران المنزل ترهق حاسة الشم لديه فهم ذات يوم بالتخلص منها فقالت له في حدة:

-تذكر يا خواجة أن البصل والثوم هما المانع للأمراض والأوبئة وأنهما طاردان للأرواح الشريرة.

-كفى جهل يا زينب! فلا شيء من هذا يمتلك هذه القدرات الخارقة يا عزيزتي إنها روح التواكل لديكم معشر الشرقيين.

-سترى يا خواجة.

وكأن القدر قد سمع كلمات الخواجة ورهان زينب فأصاب المرض زينب فتركها الخواجة خشية على نفسه فجلبت عبر جاراتها شيخة مشهورة عملت لها زاراً فأوقدت النار وأحرقت عليه حجر فاستنشقت زينب الدخان والغريب أنها تعافت بعد فترة وجيزة مما أثار دهشة الخواجة.

كان على الخواجة أن يرحل من مصر إلى لبنان وتركيا ففكر في أمر زينب وكيفية الخلاص منها وقد اتخذ قراراً حاسماً يستريح له ضميره فقال لها:



-إني راحل يا زينب وقد أعطيتك حريتك كاملة لتعيشي كالأحرار.

-وماذا سوف أفعل بالحرية يا سيدي؟!! ليس لدي وسيلة لكسب العيش هل أعمل في البغاء بعد أن أحصل على الحرية.

أصابت كلمة البغاء قلب الخواجة في مقتل وأحس بالنذالة وقلة الأصل إن تركها لهذا المصير الأفدح من الرق فقال لها وما العمل؟!

فقالت في حسرة:

-بعني إلى عبد الكريم وهو سيبيعني لأحد الباشوات.

رق الخواجة لحال زينب فقال لها: ستكونين معي.

فقالت له وقد تهلل وجهها:

-سوا سوا يا خواجة؟

-سوا سوا يا زينب؟

ارتحل الخواجة بالفتاة على الباخرة "سانتا بربارا"في طريقه للبنان وعلى متن السفينة ترك لزينب الحرية في الصلاة مع ركاب الباخرة، وأغلبهم من المسلمين، لكن ما أثار حنق الخواجة سريعاً ما نقله القبطان له من وجوب ترك الفتاة لأنها مسلمة وهو علج مسيحي، كما عرض ركاب السفينة عليه صبياً صغيراً في مقابل الفتاة، فأحس الخواجة أن كرامته قد طعنت وأنه وإن كان لا يريد الفتاة لكونها عبئاً مادياً عليه إلا أنه لا ينبغي أن يستسلم لرغبة هؤلاء الشرقيين مهما كان الثمن!!.

احتج الخواجة بأن لديه كافة صكوك البيع التي تضمن حقه ولا علاقة للدين بالأمر، كما أن لديه خطاب توصية لوالي عكا عبد الله باشا الخازندار مما أردع الجميع، وأصبحت زينب في قبضته على مرأى ومسمع منهم ولا يجرؤ أحد أن يحادثه في شأنها..

حاول جيرار أن يتخلص من الفتاة ولكن هذه المرة برغبته وذلك عبر تزويجها من أرميني مسلم على السفينة في نفس سنها، لكن الأرميني رفض.

وصل جيرار للبنان واستأجر سكناً في بيروت وسط المسيحيين المارونيين لكن نبرة استعلاء الفتاة وإحساسها بالأفضلية عليهم لكونها مسلمة جعلها غير مرحب بها في الحي، فألحقها جيرار بمدرسة للبنات في لبنان تحت إشراف مدرسة فرنسية أملاً في إشعارها أن الدين محبة ودعوة لصفاء النفس والتعاون المشترك، ولا يوجد دين يبني عقيدته على تكفير الآخرين وجعلهم مستباحي المال والعرض، لكن المدرسة الفرنسية حادت عن هذه البغية وحاولت أن تقنع زينب بالتخلي عن الإسلام بالكلية وهو ما أتى بنتائج عكسية تماماً وضاعف من تمرد الفتاة.

كان على الخواجة أن يعاود بعد جولته هذه إلى فرنسا، ولكن لا يمكن بأي حال اصطحاب زينب معه بصفتها جارية، فقرر أن يهديها لباشا كما تمنت وبذلك يحقق لها رغبتها ولا يكون قد تخلى عن واجبه نحوها.



كان الخواجة على موعد لزيارة الأميرِ بشير الشهابي الرجلِ ذي السطوة والنفوذ والمنعة في جبال لبنان، وحليف وصديق الباشا محمد علي؛ فمنحها للأمير على سبيل الهدية المجلوبة من مصر والمعطرة بطيب أرضها؛ فتقبلها الأمير بقبول حسن وأحسن وفادتها. ومن وقتها وأضحت زينب ذكرى للخواجة لا يذكره بها سوى أكوام من البصل والثوم تحاصر مطبخه مع استشراء الطاعون في أوروبا!!

****

القصة السادسة عشر

مآرب وقحة

في قريته الصغيرة بالمنصورة كان رفاعي يقضي وقته بين استذكار دروسه بمرحلة الماجستير في الأمراض الباطنية بكلية الطب والمحفوظة لديه على أسطوانات مدمجة وبين الذهاب لحضور دروس الشيخ يوسف أشهر شيوخ الدعوة السلفية كل يوم بعد صلاة العشاء.

كان رفاعي بجسمه الضخم وذقنه الطويلة وبنطاله الذي قصره حتى قارب ركبته، حريصاً على الظهور دوماً في صورة القطب الورع، يتحدث دوماً عن الالتزام والحشمة فكان هذا الوجه يستر ما بداخله من نار تلظى من الهيام بأجساد النساء خاصة الممتلئات منهن.

زواج رفاعي المبكر لم يمنعه من أن يسترق النظر خلسة لزميلاته في المستشفى التي يعمل بها، فكانت النظرات تتلو النظرات ولا عاصم ولا مانع ولا فرق بين النظرة الأولى والأخيرة!!..

كانت الممرضة إلهام ذات الوجه البشوش والعينين الساحرتين والقوام الممشوق والبياض الممزوج بالحمرة الساحرة جاذبة لرفاعي الذي كان دائماً ما يظهر حرصه على قراءة القرآن، فإذا ما بادرته إلهام بالحديث أغلق



المصحف وراح يتبادل معها الحديث لساعات بصوت عالٍ وقهقهة عالية اشتهر بها كطفل وجد أمه الحانية بعد طول غياب.

أظهر رفاعي في حديثه مع إلهام أنه ليس على وفاق مع زوجته الحالية وأن والده النقابي الكبير هو من غصبه على هذه الزيجة.

وبدأ يراود إلهام عن نفسها حتى استسلمت له بعد ممانعة ووهبت نفسها له وصداقها سورة من القرآن على اعتبار أن الهبة عقد، وإن كان شفهياً إلا أنه أقوى وأمضى من الزواج المكتوب، وأن زواجه الرسمي بها قادم لا محالة!!.

مع تعلق إلهام وبذلها كل ما لديها من مشاعر وأحاسيس نفسية وجسدية بدأ رفاعي يمل الأمر، ووجد أنّ الهروبَ هو أفضل وسيلة للتعامل مع مشاعر إلهام المتدفقة، فالأمر لم يكن يعني له سوى لعبة أتقن أساليبها وإلهام واحدة منها ولن تكون الأخيرة!!

كان الملاذ هو عقد عمل لدولة خليجية كاختصاصي جودة، ولأنه لا يعرف ولا يفقه شيئاً عن الجودة، فقد مر على زميله عصام مدير الجودة بنفس المستشفى وزميل دراسته والمتميز في هذا المضمار وقام بتحميل كل ما لديه من ملفات عن الجودة والاعتماد على القرص الصلب لحاسوبه استعداداً للسفر.

سافر رفاعي دون أن يودع أحد مستغلاً إجازة إلهام الطارئة في ذلك الوقت لمرض والدتها أثناء جائحة كوفيد **19** ومرافقتها لها بالعناية المركزة.

وصل رفاعي إلى مقر عمله الجديد، فوجد مكتباً كبيراً وسكرتارية تنتظره وآمال معقودة عليه، فكان على رفاعي أن يثبت لصاحب المستشفى أنه أهلاً لقيادتها للفوز بالاعتماد.

كان بالمستشفى الصيدلي مخلص والذي قدم مع أسرته منذ فترة وجيزة وكان يعمل سابقاً بالجودة في مصر.

وجد رفاعي في مخلص بغيته شخصاً شديد الطيبة يريد أن يمنح الجميع من وقته وجهده دون مقابل من منطلق الإحساس بالمسؤولية وروح الفريق، فرأى فيه الشخص المناسب ليستغله ويصبح هو في المقدمة، ومخلص مع جهوده في مؤشرات الأداء وإدارة المخاطر وسياسات إدارة الدواء ومشاريع التطوير يبقى في الظل وللأبد.

ولكن الأمر لم يكن لتكتمل صورته دون أن يستميل وأن يطوع أيضاً زميلتيه في السكرتارية في مكتب الجودة، فربما كانتا عيناً عليه في عمله فكانت الأولى هي (آتيا) فتاة هندية هندوسية ومن العادات لدى الهندوس أن تكدح المرأة وتعمل بجد حتى توفر المهر ونفقات الزواج وتتكفل بزوجها من الألف إلى الياء، وحينما يموت عنها زوجها فإما أن تموت بجواره أو تحرق معه أو تلاحقها نظرات المجتمع التي لا ترحم.

كان زوج آتيا صعب المراس وكان يعاملها بقسوة شديدة وعليها أن ترسل راتبها بالكامل إليه وتستقطع منه مبلغاً بسيطاً لنفقات المأكل والمشرب وإلا



انهال عليها بالتعنيف والشتم القاسي وبالطبع امرأة على هذه الحالة تبحث عن حضن حنون ورفاعي جاهز لتقديم هذه الخدمة بكل ترحاب وسرور.

أما الزميلة الأخرى فكانت (رفيف) ذات العشرين عاماً، أثيوبية المنشأ نحيلة الجسم إلى حد مميز؛ فكانت مهتمة بجمع المال بشراهة وعلى الرغم من عملها كسكرتيرة بقسم الجودة ومن مهامها أن تكتب الخطابات والسياسات والخطط إلا أن لا شيء من ذلك كان يحدث فقد أطلق رفاعي لها العنان لتمارس كافة نشاطاتها في التجارة الإلكترونية فكانت تجلب سلعاً كثيرة بسعر الجملة من المواقع الإلكترونية، ثم تقوم بإعادة بيعها بهامش ربح كبير للممرضات والطبيبات والعاملات بالمستشفى.

أصبح فؤاد رفاعي فارغاً، فالعيون عليه أوصدت ومن يعمل مكانه في صمت راضياً مرضياً والأمور مستتبة فكان يقضي جلّ وقته في النوم.

وكانت لجنة الاعتماد على أهبة القدوم للمستشفى...

كان صاحب المستشفى في خوف وترقب فهي المرة الأولى لنيل الاعتماد وخسرانه ضربة قاضية له في السوق الطبي المشتعل بالمنافسة كما أن ترخيص المستشفى مرتبط بهذا النيل وعليه أن يناله بأي ثمن.

أوكل صاحب المستشفى الأمر لشركة متخصصة في التدريب للأطقم الطبية على اجتياز الاعتماد وأصبح كل فصل من فصول الاعتماد والتي تغطي المهام الرئيسية بالمستشفى موكلاً بعدد من المتخصصين فيما بقي رفاعي يتظاهر بالعمل معهم ويحلم بالنجاح وهو على فراش النوم..

نجحت المستشفى في الاعتماد فتملكت الخيلاء رفاعي وراح يسير في المستشفى حاملاً شهادة الاعتماد باعتباره صانع المجد الأوحد ومتجاهلاً مخلص المسكين كما أغرى هذا النصر المبين رفاعي للبحث عن مكان آخر براتب أكبر.

ورغم إلحاح صاحب المستشفى على رفاعي بالبقاء إلا أنه اختار الرحيل قائلاً: إن الحماس والنجاح معد وقد وضعتكم على بداية الطريق.

بعد مضي أقل من شهر على انتقال رفاعي للمكان الجديد سرعان ما استغنوا عن خدماته بعدما انكشف أمره وضحالة قدراته في الجودة والتطوير وتكاسله الشديد فعاد مسرعاً إلى مستشفاه القديمة متوسلاً لصاحب المستشفى الذي كان يرجوه بالأمس وتركه مزهواً فأعاده صاحب المستشفى على مضض بعدما وجده منكسراً وبعد رجاء حار من آتيا ورفيف بمنحه فرصة أخرى..

قابل رفاعي وهو في طرقات المستشفى مخلص وهو منشغل بفحص عربة الطوارىء واستيفاء محتواها فاندهش مخلص لعودته بهذه السرعة فبادره قائلاً:

-مرحباً دكتور رفاعي.. لماذا عدت بهذه السرعة؟!!

-لم أجد مثلك يا صديقي مخلص في المكان الآخر!!

فأسرّها مخلص في نفسه فروح رفاعي الاستغلالية تتملكه وطيبة مخلص الشديدة تجعله دائماً هدفاً طيعاً للاستغلال المستمر.



كانت آتيا حزينة حينما غادرها رفاعي فقد فقدت الحنان في حياتها فما أن عاد لها حتى تهللت أساريرها وبدأت تدعم استقراره وبشدة وكانت ترى أن مخلص قد يصبح تهديداً محتملاً فراتبه قليل ويرضى بالقليل مما يجعله فرصة جيدة لإدارة المستشفى في أي خطة محتملة للإحلال بقسم الجودة، فعملت على إقصائه وتشويه عمله بكل السبل حتى يرحل عن المستشفى.

كان مخلص على أعتاب تجديد عقده لكن خطة المستشفى بتقليص العمالة لديها مع استفحال جائحة كوفيد **19** طالته فتم الاستغناء عن خدماته بشكل مفاجئ، وبدأ يلملم أوراقه استعداداً للمغادرة؛ فوجد رفيف قد ألقت بأوراقه جميعها بكارتون كبير خارج المكتب فتصبب مخلص عرقاً ورفاعي يرمقه ويقول له:

-حظاً سعيداً يا مخلص.. حقيقي سأفتقدتك في الجودة ولكنها عجلة الحياة تمضي في طريقها واضعة نهايات للرفاق لم نكن نتوقعها أو نتمناها!!!.

وعلى كل حال ربما أراك مستقبلاً.

****

السيرة الذاتية للكاتب

محمد فتحي عبد العال

كاتب وباحث مصري

بكالوريوس صيدلة -جامعة الزقازيق**2004**

دبلوم الدراسات العليا في الميكروبيولوجي التطبيقية- جامعة الزقازيق**2006**

ماجستير في الكيمياء الحيوية- جامعة الزقازيق**2014**

دبلوم إدارة الجودة الشاملة - أكاديمية السادات للعلوم الإدارية **2015**

دبلوم الدراسات العليا في الدراسات الاسلامية - المعهد العالي للدراسات الإسلامية **2016**

شهادة معهد إعداد الدعاة-المركز الثقافي الإسلامي- وزارة الأوقاف **2017**

شهادة البرنامج التدريبي لأكاديمية زاد الإسلامية (أون لاين **2019**)

العديد من الكورسات والدورات التدريبية في مجال الأحصاء من أكاديمية سايلور (أون لاين**2019**) ومن كلية العلوم جامعة الزقازيق والمعلوماتية الحيوية من جامعة بكين (كورسيرا أون لاين **2019**)



العديد من الكورسات والدورات التدريبية في مجال الجودة الطبية منها شهادة تخصص سلامة المرضى من جامعة جون هوبكينز (كورسيرا أون لاين**2018**) ومن جامعة ستانفورد أون لاين **2019** وشهادة تخصص في تطوير الأداء ستة سيجما الحزام الاخضر جامعة جورجيا (كورسيرا أون لاين **2018**)

العديد من الدورات في مجال الأدارة ومنها الدورة التأسيسية لاعداد القيادات التنفيذية والإدارية والنقابية –وزارة الشباب بالتعاون مع لجنة التعليم بنادي الصيادلة ونقابة صيادلة الشرقية **2015**

دورات في تدريب المدربين من مركز سيسكو **2017** ومن مركز التنمية الثقافية والتكنولوجية بمحافظة الشرقية **2017** و**TeamSTEPPS Master Trainer 2018**

عضو باللجنة التدريبية بمجلس الإعتماد الدولي للدراسات والأبحاث الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية

الدكتوراه الفخرية من أكاديمية السلام بألمانيا **2018**

تكريم كصيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية ودرع نقابة صيادلة الشرقية**2015**

تكريم كصيدلي متميز من نقابة صيادلة الشرقية والهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية ودرع نقابة صيادلة مصر **2016**
تكريم كصيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2016**

شهادة شكر وتقدير من مجلة مبدعون ووكالة مرآة الحياة العراقية **2018** ومن المركز العراقي للأدباء والفنانين الشباب وجريدة طريق القوم بالعراق **2019** ومن صحيفة صدي المستقبل بليبيا **2019.**

شهادة تقديرية من مبادرة الباحثون العراقيون **2018**
درع الإبداع والتميز وشهادة تقدير من مجلة أمارجي الادبية العراقية **2018**

صيدلي ورئيس قسم الجودة ومدير المكتب الفني بالهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية سابقاً
صيدلي بمستشفي المواساة الدمام-الجبيل الصناعية سابقا
مدير الصيدلية الداخلية ومسؤول سلامة المرضى وإدارة المخاطر ومؤشرات الأداء بمستشفي الفلاح الدولي بالرياض سابقا
مستشار طبي بشركتي**CAT** و**237 COMMUNICATIONS JLT** بمصر والسعودية والامارات سابقا



كاتب وباحث ثقافي بالعديد من الصحف العربية والبوابات الإلكتروبية في مجالات الطب والعلوم والتاريخ والحضارات الإنسانية والدراسات الدينية ومن الصحف الورقية التي أنشر بها مقسمة حسب بلدانها:

الجزائر: صحيفة صوت الأحرار الجزائرية (صفحة اسبوعية ثابتة تحت عنوان مساحة رأي)

صحيفة الحوار الجزائرية- صحيفة الجديد الجزائرية-صحيفة الجمهورية الجزائرية – صحيفة كواليس الجزائرية.

مصر: صحيفة الأهرام –صحيفة العروبة-صحيفة الزمان-صحيفة أخبار الأدب-صحيفة الرأي

العراق: صحيفة الزوراء العراقية -مجلة أمارجي الأدبية العراقية- صحيفة النهار العراقية-صحيفة البينة العراقية الجديدة-صحيفة جدار العراقية-صحيفة الكلمة الحرة العراقية –صحيفة ثقافية كل الاخبار العراقية –مجلة مبدعون العراقية –صحيفة سيروان الكردية.

السودان: صحيفة أخر لحظة السودانية.

ليبيا: صحيفة صدي المستقبل الليبية – صحيفة فسانيا الليبية.

حول العالم: صحيفة صوت بلادي بالولايات المتحدة الأمريكية (مقال طبي شهري) - صحيفة أيام كندية (مقال ثقافي شهري).

البوابات الإلكترونية مثل: الجمهورية أون لاين- موقع الدستور الإلكتروني (امان) - موقع هافينغتون بوست الامريكي -عربي بوست-ساسة بوست

-بوابتي تونس-راديو صوت بيروت الدولي -راديو صوت القلم الجزائري -فينيق-بقجة -صحيفة المثقف الإلكترونية-فوكس نيوز مصر -الراكوبة -سودانيز أون لاين -صحيفة الفكر الكردية الإلكترونية-صحيفة الحدث الإلكترونية من لندن -صحيفة الفيصل من باريس-صحيفة المنار العراقية الإلكترونية-بوابة الحضارات التابعة لمؤسسة الأهرام.

الجوائز الحاصل عليها: شهادة تكريم من اتحاد الصيادلة العرب وشعبة المبدعين العرب عن كتابي تأملات بين العلم والدين والحضارة معرض القاهرة الدولي **2020**

شهادة تكريم للحصول على المركز الأول في فرع الدراسات من مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع عن كتابي جائحة العصر **2020**

تكريم كصيدلي مثالي من الهيئة العامة للتأمين الصحي فرع الشرقية **2016**

تكريم كصيدلي مثالي من نقابة صيادلة الشرقية **2015** ودرع النقابة.

تكريم بدرع الإبداع من مجلة أمارجي الادبية العراقية **2018.**

مؤلفات سابقة:

كتاب تأملات بين العلم والدين والحضارة في جزئين

كتاب مرآة التاريخ

كتاب على هامش التاريخ والأدب



المجموعة القصصية في فلك الحكايات

رواية ساعة عدل

رواية خريف الأندلس

مدينة الإقامة: الرياض

رقم الهاتف :**00966583609502**

****

محتويات الكتاب



تم بحمد اللّه



مجموعة قصصية في زمن الجائحة

حتى يحبك اللّه

د. محمد فتحي عبد العال

الطبعة الأولى
1443 هـ 2022 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com